# شـــام

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتـــاب: شام

تـأليـــــــف:شيماء سيد - إيمان قواسمية - د. منى محمد الشريف

إشراف:أ. أحمد مرتضى

تصميم داخلي:سالم عبدالمعز سواح

النــاشـــــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

القـطـــــــع: 20*14

سنـة النشـر: 2024

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 11645 /2024

الترقيم الدولي (ISBN): 0 - 506 - 844 - 977 - 978

دار الزيات للنشر والتوزيع

المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ /shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-506-0

9 789778 445060

# شـــام

بقلم

شيماء سيد - إيمان قواسمية - د. منى محمد الشريف

إشراف

أ. أحمد مرتضى

إلى كل أولئك الذين يعانون منذ أمد بعيد،
ويخافون المواجهة...
نهديكم جميعًا عملنا هذا، ونتمنى لكم رحلة
سعيدة عبر محطاتها الثلاث،
آملين أن يبعث فيكم نبتة مزهرة ورغبة قوية
في النهوض من جديد.

# المقدمة

شام... شعور وألم ومواساة، رحلة نُبحر فيها نحو دواخلنا، نغوص في أعماقنا،

نأنس فيها بعاطفتنا، التي كثيرًا ما ضلت طريقها إلينا، أو جهِلنا نحن ماهيتها.

عاطفة أسأنا فهمها، ووصمنا أنفسنا بكوننا شعوبًا عاطفية، ويا لها من نعمة!، لو أدركنا كيف نُحسن إدارتها والانسجام معها.

شام... رحلة نخوضها مع المشاعر، لتنقلنا من نعتها بالسلبية إلى وعينا لها، وفهمنا كونها جاءت لتُطهرنا، ولنمر من خلالها إلى نقيضتها الإيجابية.

شام رحلة شفاء وأمل ومواصلة، رحلة في طرُقات أنفسنا إلى سبيل السكن والسلام.

رحلة محطاتها ثلاثة أقلام: شيماء، إيمان، ومنى، فهن من خططن "شام".

# عن شعور الفقد سأتحدث...

# شيماء سيد

# تمهيد

أحيانا تختبرنا الحياة، وتقطع حبال الود بيننا وبين ما نحب وما نتمنى، فنتألم بل أحيانا نقسو ونسعى للانتقام!، ولكن مهلًا.. أهو آخر المطاف؟ بالطبع لا...!

أتفق معك أنك ربما شعرت بالحسرة والضياع، و لكن ما ننساه أحيانًا -أن كل شيء فان- وما حدث هو درس بأن ننضج، ونكتسب نسخة جديدة من أنفسنا أكثر قوة وشجاعة، قادرة على التسليم حتى لا يصيبها التمسك المرضي، وذلك يجعلنا دائما مستمتعين أكثر، بل ومتصلين بما نريد بطرق مختلفة.

# (١)

# فماذا يحوي القلب؟

استيقظ على صوت منبه قد حقق رقمًا قياسيًا، أغمض عينًا وفتح الأخرى؛ ليتحقق من تاريخ اليوم..«عليَّ الذهاب.. حتى لو كان رغمًا عني، وإلا سأقارن بأهل الكهف!».

في الاجتماع الشهري لأعضاء المؤسسة الخيرية التي ينتمي إليها، اتخذ الفريق شكلًا دائريًا كبيرًا، الجميع في أماكنه عدا مقعد فارغ، وقد امتلأ بمجيء هذا الذي تعمد التأخير.

جلس في صمت، وكم تمنى في هذه اللحظة أن يتحول شبحًا لا يُرى كي لا يدخل مناقشات مع أحد، حتى لو كانت بسيطة!، أما هم فقد هتفوا حين رأوه في صوت واحد: أهلًا أسامة!، فبادرهم: مرحبًا بالجميع. «لم تفلح خطتي، ورصدتني العيون، ولابد لي من مصاحبة بعض اللصوص؛ لأتعلم مهارات التخفي!».

وفور اكتمال العدد بدأ المشرف بإلقاء كلمته، وتذكير الفريق بتجديد النية خالصة لوجه الله، ثم طلب من الحضور أن يُعرف كل واحد منهم نفسه، كي يتعرف الأعضاء الجدد على باقي الفريق، لم يسمع حرفًا مما قيل، فقد كان مشغولًا بتلك

الورقة وقلمه الرصاص، وحين جاء دوره ناداه المشرف، فانتشله من غفلته بابتسامته المعتادة قائلًا: حان دورك أيها الشاب الوسيم، أخفى ابتسامة ساخرة، وقال: «ربما لا أجيد التعبير بالكلمات، ولكن...»، كشف عن رسمته التي انهمك في إعدادها، فكانت لشاب وسيم داخل مدرجات جامعة القاهرة، يجلس في إحدى الزوايا بعيدًا وحيدًا، وممسكًا بشهادة تقدير من كُليته؛ لتفوقه الدراسي، وأردف: هذا أنا باختصار...، فإذا بتصفيق حاد من الحضور، فبادرهم: شكرًا لكم، «حمدًا لله أنهم لم يستشعروا ضجري من السؤال، وسارت الأمور بشكلٍ ظهر ودِّيًا، بغير قصد!».

كانت خدعة من هذا الفنان!، بأن وظَّف موهبته في اختصار الحديث عن كينونته، وانعدام رغبته في سرد تفاصيل حياته، وليس لرسمة أن تفصح عن تفاصيل حياته؛ فكان قلمه خير معين لتلك المهمة، «حتى لو حركنا القلم؛ فليست الأمور دائمًا على ظواهرها!».

انتهى اللقاء وذهب الجميع، خرج متجهًا لمنزله في أجواء خريفية تتساقط فيها أوراق الشجر من حوله تباعًا، فأشبهت حال أحبابه عبرالزمن، كم تمنى أن يزور الربيع قلبه، ولكن كان للطقس رأيٌ آخر؛ فهبت الرياح بعواصف الذكريات المؤلمة من فقد وترك، وكأن الدنيا كلها قد تآمرت عليه، فقط صوت

الطيور؛ التي تبحث عن مبيت -من فوقه- هي وحدها من هونت عليه، وكأنها أرادت أن تواسيه فعزفت أعذب الألحان على أوتار قلبه خصيصًا له؛ لتؤنس ظلام ليله الذي أسدل ستاره للتو متزامنًا مع وصوله لغايته.

دخل باب العمارة، ومنها إلى المصعد الكهربائي، وأخيرًا وصل إلى شقَّته، كالعادة لا أحد يستقبله؛ فوالده دائمًا في عمله، ووالدته على ذمة رجل آخر. راوده شعور الحنين، أو ربما حاله من النوستالجيا.. فذهب لمكتبه، وأخرج كتابًا من بين أغراضه المتناثرة، ثم أمسك بصورة قد دسها بين طياته، كانت له مع أمه وأبيه، في ذكرى يوم ميلاده العاشر، ضمها إليه رغم غصته لما سبباه له من شتات، لكن في النهاية هما أبواه.. ظل يتفقدها بأنامله، رغم مرور سنوات طويلة إلا أنه سرعان ما تذكر ملمس بشرتها الذي يعرفه جيدًا، اشتم رائحة لم تكن للورق؛ بل لتلك التي بات ليالٍ في أمان بفضلها، سمع صوت ضحكات أبيه التي افتقدها، كم اشتاق لهذا الدفء!.. احتضنهم، لكن بروحه، فالأصل فينا الروح، أما الجسد فهو مجرد غلاف، والأرواح صفحات تسافر فيها الكلمات أميالًا، فتستقر المعاني في نفس مُريديها. أغمض عينيه لتظل اللحظة مستمرة قدر الإمكان، حتى لو كانت في الخيال فقط!.

ظل يردد بأنفاس متهدجة: «الظلام لا يمكن أن يطرد الظلام، النور وحده قادر على فعل ذلك، كذلك الكراهية لا يمكن أن تمحو الكراهية، لكن الحب فقط هو الذي يمكنه فعل ذلك»*[١].. ظل على هذا الحال حتى غفى لصباح اليوم التالي.

وبدأت عجلة يومه تدور من البيت إلى الجامعة، ومن الجامعة إلى المؤسسة، وأصبحت الأخيرة بمنزلة متنفس له، بل كانت هي الحياة بالنسبة له، حيث كان دائمًا ما يجد سعادته في ابتسامات الآخرين، يستمد الرضا والقناعة من المتعففين، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان!.. وهكذا توالت الأيام، ومعها اللقاءات، ولم يتغير شيء! ذهب هذه المرة مُرتابًا!، حيث قُرعت نواقيس الخطر بداخله، كأنه على شفا جرف هار، كل هذا لأسباب غير واضحة المعالم، دعا الله أن يحفظه ويحميه مما تخبئه له الأقدار!.

ومرة أخرى، تعمد التأخر عن الاجتماع الشهري للمؤسسة، ولكن هذه المرة لم يكن وحده المتأخر، وإنما تلك الفتاة أيضًا، كانت تسير موازية له، وما إن رآها حتى دقت ضربات قلبه بسرعة رهيبة، وكأنه يرى فتاة لأول مرة، تلاقت أنظارهما،

---

١ * مقولة لمارتن لوثر كينج.

وسرعان ما أخفضا أعينهما سويًا، انتظر مكانه بلا حراك للحظات؛ كي يسمح لها بالتقدم، أو ربما ليلتقط أنفاسه، نظر إليها، وكاد أن يتفوه: «وكأن قصتنا قد كُتِبت من قبل، فلم يخطؤكِ الفؤاد حين رآكِ!»، ربما هي رسائل ربانية، ووحي من الله! ولم لا!؛ فالوحي لم يكن للأنبياء فقط، وإنما أوحى ربُك لأم موسى، بل وللنحل أيضًا.. فلننتظر!، ووحدها الأيام هي من ستجيبنا عن السؤال: هل صَدق الفؤاد ما رأى؟.

استقر كل منهم بأقرب مقعد شاغر، فكان من نصيبه أن تجلس في المقعد المقابل له، وبدأ يرصد تصرفاتها، وسكناتها وربما عدد أنفاسها!؛ ليتحقق مما أملاه عليه قلبه، كانت لها طريقة حديث مميزة بأفكار متزنة في زمن المسخ والانحراف الفكري، كانت قليلة الحركة، كثيرة الابتسام، بشوشة هي بغير تصنع. قد يكون غريبًا أن تُعجب بفتاة من أول لقاء، ولكن الحقيقة أن نزولك النهر مرة واحدة كفيل أن تدرك بها محتوياته!، على كلٍ فالأمر يحتاج إلى شجاعة فقط! شجاعة لكي تتخلى عن ماضيك؛ لأنه لا يمثل مستقبلك، شجاعة لكي تتقبل الخسارة إن حدثت، فهذه هي قوانين اللُعبة، وعليك تعلمها طالما أردت الحياة، وليس العيش فقط، فالكثير يتنفسون، ولكنهم ليسوا أحياء والخيار لك.

باغتته يد أحد الأعضاء فوق كتفه قائلًا: نحن هنا، فأين ذهبت ياصديق؟!.

- فتبادلا الابتسامات.

انتهى اللقاء، ولم يتحرك صاحبنا إلا بعد أن ذهبت هي أمامه، خرج خلفها لعله يبلغ الأسباب!، فوجدها تنتظر الحافلة بين الحشود، ولكنها الوحيدة التي قرر القمر أن يستمد الضوء من عينيها الزرقاوين، فاستقر داخل هاتين الدائرتين الصغيرتين، فأصبحت هي من تضيء عتمة الليل لمن حولها، وهي من وهبتهم السكينة التي فاضت من تقاسيم وجهها الملائكي البريء دون أي مجهود منها، وهي من استعارت أمواج البحر لترسم به خصلات شعرها، فألهمت المهمومين بالبوح رغم صعوبته.. كل هذا وهي لا تبالي!، ثم اتجهت لوجهتها برشاقة الغزلان، وبالنسبة له كانت هي وجهته!.

وبمرور أعوام عديدة، لم يضل الطريق.. وكانت هي صاحبة الفضل في ذلك.. كيف طلب يومها من الله أن يحميه مما تخبئه له الأقدار! فقد كانت أفضل أقداره؛ حينما سكنت قلبه البور أمطرت السماء ورودًا بلا أشواك!.. «وكأنها كانت أمنية قد أرسلتُها في ودائع الرحمن ونسيتُها، وحاشاه أن يردني صفرًا خائبًا، فأجابني بها عن كُل أدعيتي».

# (٢)

# الكنز المفقود

عُدت إلى المنزل في الساعة التاسعة مساءً، وقد أُهدرت طاقتي تمامًا في العمل مع الجمهور، هذه الآلات المشحونة التي قد صممت خصيصًا للثرثرة والجدال، حيث المناهدات اللامتناهية، إضافة إلى دوامة الركض في المواصلات العامة.

وفوق ذلك كله قابلتني أمي بنظرتها التي لا تخلو من التهكم عليَّ، فسألتها بملل عن سببها، التي ربما أعرف سببها بحكم خبرتي بطبع أمي، فردت هي بعيون زاغرة:

- مي جارتنا جت تعزمنا النهارده على خطوبتها.

حينها تأكدت أنه ذلك السيناريو المعهود في مثل هذا الموقف، فقررت إنهاء ذلك الحديث قبل تفشي مناوشات ليس لها أول من آخِر، فقلت:

- أمي أنا منهكة، دعيني استرح من فضلك..

وقبل أن أذهب لغرفتي تركتُ على جبينها قُبلة سريعة، وكانت تختزل خلفها الكثير من عبارات التوسل بعدم الخوض في ذلك الحوار مرة أخرى إلى أن يأتي موعده الذي أقرره أنا وحدي!.

استيقظت على صوت هاتفي في التاسعة صباحًا، قمت بروتيني الصباحي المعتاد، وأنا أحاول أن آخذ حذري كمتسلل يخشى أن يراه أحد، مثلما أخشى استيقاظ أمي، فتعيد تلك الكَرَّة من جديد، وهذا ما لا أرجوه أبدًا، حتى لألد أعدائي!.

أخيرًا انتهيت، واتجهت إلى الشارع، على أمل أن أجد سيارة تنقلني لأقرب محطة مترو، حتى أتمكن من الذهاب لعملي.

وبالفعل وجدت سيارة فركبت فيها، وما إن حدث ذلك حتى شعرت أني بداخل محمصة مشتعلة، كل وظيفتها هو استخراج ما تبقى من رطب في جوفها، وهنا شردت قليلًا: «أكانت أمي على حق في قولها -ضل راجل ولا ضل حيطة وإن البنت ما لهاش إلا بيت جوزها!- ربما كانت على حق!، ولكن أنا لست كأي فتاة عادية؛ فأنا جميلة بشهادة الجميع، والدلال من حق الجمال»، وما كان قرار السائق إلا أن قطع أفكاري بصوته الجهوري الغليظ هذا قائلًا:

- الأجرة يا أوووستاااذة.

«أأجرته هذه نهاية العالم ليفزعني بهذه الطريقة!»، كدتُ أفتح حقيبتي، وإذا بيد مسرعة -لا أعلم أين كانت، أو من أين جاءت- كانت ممتدة بالنقود، ويلاحقها صوت جهوري آخر:

- خلاص يا آنسة أنا هدفع لك.

اندهشت لقوله! فليس معنى أنني تأخرت عن الدفع أني متسولة!، كادت تتسارع من فمي كل كلمات التوبيخ وعباراته حينها، ولكن سرعان ما تراجعت حين نظرت إليه فوجدته جاري «معاذ»، ذلك الأشعث الذي حاول أكثر من مرة أن يلاحقني، والغريب أنني في كل مرة أقابله بالرفض، ويقابلني بابتسامة!.

حاولت أن أشرح له الموقف، ولكنه صمم على دفع الأجرة، فوافقت فقط بسبب إصراره.

أخيرًا وصلنا للمترو، ولسوء حظي أن مقر عمل أخينا هذا قائم بالجهة الموازية للشركة التي أعمل بها، وذلك حسبما أوضح لي خلال حديثنا، فبطبيعة الحال ركبنا المترو سويًا ونزلنا منه سويًا، حينها رافقني الطريق، وبالطبع أعطى لنفسه حقًا أن يفتح حوارًا قد سئمت منه، وكانت النتيجة الحتمية أن يعلن سمعي وبصري الضجر منه، فظللت أنظر يمينًا ويسارًا لعلي أجد منفذًا للفكاك، فوجدت زميلتي سارة التي قد رمقتني

حينها بغمزة سريعة!، «يا لها من بلهاء!»، استاذنته حتى لا أتأخر على موعد «البصمة»، فكان رده:

- فكري يا آنسه شروق وأنا منتظر ردك، وإن شاء الله يكون بالموافقة. لا إراديًا صدَّرت له وجهًا رماديًا لا حياة فيه ولا ماء، دلالة على موقفي المحدد منذ قديم الأزل، والذي لم يتزعزع يومًا حتى.

دخلت الشركة وبدأت يومي.. كان يومًا مليئًا بالعمل؛ لم يكن به أي متنفس لشحن هذه الماكينات الحية، التي اعتقد مديري أنها لا تعطل أبدًا، ظل الحال هكذا طوال اليوم إلى أن أنهيناه أخيرًا.

وجاء موعد الرحيل، وهنا كانت سارة تجهز أغراضها في عجلة من أمرها، حاولتْ جمع كل الأوراق المتناثرة أمامها دفعة واحدة، لكن لم تسعفها يدها الصغيرة في ذلك، ظلت تجمعهم بفارغ الصبر إلى أن وضعتها جميعها في مكانها المحدد، وبعدها التقطت حقيبتها بسرعة، كأنها تود أن لا تُفوت شيء ما!، وعندما لحقتني مهرولة، وبدأت حديثها بابتسامة ساذجة، علمتُ أن هذا الشيء هو أنا!؛ لتُروي فضولها عن ماهية ذلك الأشعث، «مهلًا أظنَّته على علاقة بي! من! هذا! »

قلت:

- لأ، لأ ما تسرحيش بخيالك؛ ده جاري وجه معايا النهارده لأن شغله الجديد قريب من شركتنا مش أكثر.

- وليه لأ؟!.

فبدا على وجهي كل علامات الاستنكار، ورغم ذلك لم تهتم هي بلغه جسدي، أخذتْ تواري فمها بخبثٍ قائلة:

- ما تقلقيش دي مشكلة بسيطة، إبقي قولي له يروح للصالون ويظبط شعره ده.

لم يعجبني قولها، فقررت أن أسبقها بضع خطوات معلنة عن استيائي من هذا الحديث، وأخيرًا استوعبت هي موقفي، لحقت بي حرجة وهي صامتة، فقلت:

- أنا مش أقل من حد، أنا عايزاه عريس زي عريس بنت خالتي، فأضافتْ مستنكرة قولي:

- أنتِ فاهمة الموضوع غلط، استدارت مسرعة، وأخرجت كتابًا ورديًا من حقيبتها، ويبدو أنها على وشك الانتهاء منه، لوجود فاصل ورقي، قد وضعَته مسبقًا، أعطتني إياه رغم علمها أنني لست عاشقة للكتب، ففتحتُ صفحة عشوائية، لأعلم فقط ما تود قوله، قرأتُ:

"واحدة من أهم أسباب عدم حصولك على الزوج المناسب لكِ -ولكِ فقط-، تكمن في ضعف معرفتك بهويتكِ الأنثوية، وإهمالك لها، إضافة إلي أنكِ تختارين الطريق الخاطيء للوصول إليها؛ فدائمًا ما تهتمين بمظهرك الخارجي فقط، والحقيقة أن أناقتك تكمن في رجاحة عقلك، وأسلوبك المهذب، وليس بالماركات والبراندات، أما عن جمالك فمنبعه القلب، والذي سينعكس ويشع بدوره على جمال ملامحك، وليس العكس.

فمن انشغلت بالظواهر ستجذب ذكورًا لا تهتم إلا بالظواهر، وستكون هذه فقط هي الصفة المشتركة بينهم، فلا تفاهم ولا وِد ولا وصال، علاقة هشة لا يملؤها سوى الزيف، وبعد فترة سينفرون منها لأنها صارت تدريجيًا أبعد ما يكون عن فطرتها وطبيعتها، وأظنكِ لا ترضين بهذا الحال.

ولذلك فكنزكِ الحقيقي يكمن في اهتمامك بجوهرك الأنثوي، و مفتاحه: حبك لذاتك أولًا، واعتنائك بنفسك لنفسك ثانيًا، أما ياقوته: فهو هدوؤك، وبعدك عن الغضب فهو لص لأنوثتك لو تعلمين عظيم، لؤلؤه: تقديرك لذاتك الرائعة، وتأكيدك لها أنك فعلًا كذلك دومًا، وأنها أجمل ما خُلق منذ قديم الأزل.

حينها ستجدين روحك التي سكنت جسدًا آخر، من يشبهكِ وتشبهينه، ليس شكلًا، وإنمًا فكرًا وخُلقًا، رجلًا أحب فيكِ ذاتكِ التي وصمها في قلبه وسام فخر له، رجلًا عشق فيكِ عقلكِ الحكيم، وقلبكِ النقي، وقد ظن أنه قد فاز بكِ، وانتهت بعدها أي فرصة للرجال في الحصول على جوهرة مثلك!."

قلت لها: سأحتفظ بهذه النسخة لي.

فتبادلنا الابتسامات.

# (٣)

# حاضرون

هدوء تام وظلام دامس خيم على المكان، شعرت كأن صخرة كبيرة قد وضعت على صدري فأعاقت أنفاسي بشكل كبير، وبما أن الكتابة أصبحت هي طريقتي الوحيدة للتعبير عما بداخلي خططتُ: "كنا نلعب أنا وتوأمي بُشرى في حديقة المنزل كل يوم إلى أن يستيقظ أبواي، وحتى تحضر أمي الطعام لنتناول سويًا وجبة الإفطار، كانت أصوات ضحكتنا تزلزل أركان البيت بأكمله، فتستيقظ أمي على جملتها المعتادة: «كفاكم هراء أيتها المتشردتان» فتزيد أصواتنا مهللين بقدومها، لتفتح ذراعيها عن آخرهما فنرتمي بداخل أحضانها... كانت أحيانًا تطيل قبضتها علينا، وحقيقة أنا لا أدري أكانت لديها مشاعر فيَّاضة؟!، أم أنها كانت تحمينا مجازًا من شيء ما!."

وهنا أوقفت الكتابة، وتركت القلم من يدي حينما دقت الساعة معلنة حلول منتصف الليل، هنا أغلقت الأنوار، وذهبت للنوم؛ حتى لا أتأخر عن عملي في اليوم التالي.

في الصباح اشتقت لأختي، وراودتني رغبة مُلحة في سماع صوتها؛ لأننا لم نلتقِ منذ مدة، فقررت أن أحادثها، أمسكت هاتفي وانتظرت...

. آلو، شذى حبيبتي، كيف حالك؟ ألم يأن الأوان لتزورينا؟ ...

حينها طرقت أمي الباب لتوقظني، وفي اللحظة نفسها لم أتمكن من الحصول على إجابة من بُشرى؛ يبدو أن هناك مشكلة في شبكة الاتصال لديها.

ذهبتُ لعملي، فإذا بظرف قد وضع على مكتبي، كُتب عليه بالفونت العريض «لفت نظر»، فعلمت أنه من مديري بألَّا أكرر بعض الأخطاء التي ارتكبتها مؤخرًا.

تركته واستدرت نحو حاسوبي لأُباشر عملي غير مبالية بما قرأت... مرت بضع ساعات وأنا على هذا الحال.

لاحظت صديقتي أني لم آكل منذ الصباح، فأحضرتْ طعامًا قد جاء للتو عبر «الدليفري»، أزالت الغطاء المغلف به وقدمته لي، قائلة:

- أردتُ أن نتشارك الطعام.

لم يكن لي رغبة فيه، نظرتُ إليه شاردة، ولم ألمسه، "كيف لي أن أتذوق طعامًا لم تقاسمني فيه شقيقتي، على أية حال فقد تشابهت الأصناف، ولم أعد أشتهي منه شيئًا"، أشارت لي بأن أتناول ففعلت رغمًا عني.

في نهاية اليوم تركت سيارتي، وقررت الذهاب للتمشية في إحدى الحدائق العامة، لعلّي أجد في نسيمها دواء لقلبي العليل.

كان كل شيء فيها على ما يرام: خضرة خلابة، هواء نقي، الطيور تداعب الزهور في كل مكان، آشعة الشمس قد مدت أذرعها لتنثر دفئها على الجميع، جلستُ وسمحتُ لنفسي بإطلاق العنان لكل جزء في جسدي للاسترخاء، فأخذت شهيقًا عميقًا، ثم ببطء شديد أُخرج الزفير وأكرر...، حتى انتشلتني ضحكات الأطفال من حولي، كان المشهد مبهجًا، ويُرغم أي أحد على الابتهاج، إلا أنه أثار في نفسي غصة؛ حينما تذكرت بُشرى وكم كانت تعج حياتنا بالحيوية مثل هؤلاء الصغار، رغبت أن أبتسم، لكن كيف أفعل، فقد حرَّمته على نفسي طالما أنه بدونها، إلى أن تأتي قريبًا فيزورني الفرح من جديد.

حينها هاتفتني أمي لتطمئن عليَّ، وتسألني عن سبب تأخري.

فغادرت المكان حتى لا تقلق أكثر من ذلك، اتجهت نحو مقر العمل لأستقل سيارتي، وإذا بمفاجئة قد طال انتظارها... كانت أختي تنتظرني بالسيارة منبسطة الأسارير، وما إن رأتني حتى فتحت لي الباب، وارتمينا بأحضان بعضنا، أكاد أجزم أن هذا اللقاء قد شعَّ منه حرارة كافية لإذابة الجليد، لم تسعني الفرحة، ولم أسألها أي سؤال؛ أردت فقط أن أقصَّ عليها ما فاتها، كما كنا نفعل من قبل، تحدثت كثيرًا وتحمست أكثر، ولوهلة لم أنتبه للطريق، وكدنا نرتطم بسيارة أخرى، فصرخت ولم أدرِ بعدها ماذا حدث، إلى أن استفقت على أصوات هؤلاء الغرباء من حولي يتأملونني، رغبة منهم في التحقق من كوني حية أم لا.

نهضت من كومتي قائلة:

. أنا بخير، فلتنتهوا، وشكرًا لكم.

نظرت يمينًا ويسارًا أبحث عن بُشرى، وأتساءل: أين هي؟!، فإذا بهم يجيبوني: أنهم لم يجدوا أحدًا معي في السيارة وقت الحادث، لم أستوعب! «أين ذهبت؟!»، تحركت بسرعة إلى المنزل كي تتصرف أمي؛ فأنا في وضع يُرثى له، وبالكاد تحملني قدماي.

وما إن وصلت حتى انتفضت أمي من مكانها؛ فابنتها مليئة بالخدوش، متعرجة الخُطى، أما أنا فاسترسلتُ في الحديث عما

قد أصابني، وما إن حدثتها بأني قد رأيت بشُرى تقلصت ملامحها واصفر وجهها، وانهارت باكية، التقطتني بقوة دفعة واحدة تحتويني، فقالت:

. حبيبتي كفاكِ أوهام وعيشي الواقع، صدقي أنها لم تعد معنا، وأنها قد ماتت منذ أسبوعين فعلًا.

نظرت إليها بعينين شاخصتين، مر زمن لم أدر مقداره حتى أدركت قليلًا ما قالت، فتوسلت منها ألا تتحدث بمثل هذا الكلام، فاندفعت شلالات الدموع منا سويًا، أصبحنا كتلة واحدة تتظاهر بالقوة كجبل ظاهره صامد، لكن الحقيقة أنه يحوي بداخله بركانًا ثائرًا قيد الانفجار، ضغطتْ أمي على يديَّ بأن تمالكي نفسك وتحملي؛ لتمر الأزمة بسلام، أو حتى بأقل عدد من الخسائر.

حينها حاولت أن آخذ بالنصيحة، تناولت دفتري لألقي الحِمل عن عاتقي إلى الورق، كان القلم ممتلئًا عن آخره، لم يكن بالحبر، بل كانت دموعي، كتبتُ:"حبيبتي بُشرى، لطالما عشنا أجمل أيام حياتنا سويًا، فكيف لي أن أزيح تفاصيلك من ذاكرتي ولو لوهلة، كنتِ الرفيق، كنتِ الصديق، كنتِ خير مُعين، لا أستطيع التحدث لغيرك، أو أفرغ ما بجعبتي لأحد مثلما كنت أفعل معكِ، تركتِ فراغًا كبيرًا، ولم يستطع أي مخلوق أن يملأ ذلك الفراغ، ولم أعد أتحمل الحياة بدونك..."

منذ ذلك اليوم حاولت أن أمارس العديد من التمارين الرياضية، واشتركت بإحدى المدارس لتعليم الفنون التشكيلية بغرض تفريـغ الطاقة السلبية، فبدأت حالتي النفسية تتحسن شيئًا فشيئًا، وكل ذلك بفضل أمي وتوجيهاتها، وبطبيعة الحال بدأت أذهب لعملي بحماس أكثر من ذي قبل، بل وحصلت على ترقية أيضًا,

وكلما اشتقتُ لها أُحضر دفتري وأكتب، فكتبت ثانية:

"بعد موتك فارقتني الحياة وأنا حية، ولكني أدركت أن الأمور لابد لها أن تسير بشكل أو بآخر، وأنه علي البقاء قوية لأجلي- بل لأجلكِ أيضًا-، وعندها فقط استطعت أن أدعو لكِ، وأن أتحصل على المال من عملي فأرسل لكِ بعض الهدايا.

والآن أعلم أنكِ لستِ بداخل قبر مظلم، فالجسد فان، وما تبقى منك هو روحك التي رافقت جوار رب رحمان رحيم ."

وهنا هدأت روحي، فاطمئنت وآمنت كما لم تأمن من قبل، وكأنني أنا من جاور ذاك الملكوت فغفوت، وقالت:

«مرحبًا، أنا بشرى أُحدثكِ من مكاني الشاسع هذا، حيث زمن اللازمن، حيث الجنان وقصور ليس لها أول من آخر، أردت أن أُبلغكِ أنني هنا أسمع وأرى، وأنني أيضًا اشتقت لكِ، وأنني فخورة بكِ، أريد منكِ فقط الفاتحة لروحي، و لجميع أرواح المسلمين».

# (٤)

# عذرًا

حالة من الوجوم سيطرت على الجميع، لم يقطعها سوى صوت المدير لخالد، حيث تلقى الأخير ألوانًا عديدة من التوبيخ أمام زملائه، لم يجرؤ أحد منهم أن يدافع عنه، ولم ينبس هو ببنت شفة، في موقف غاية من الإحراج، قرر أن ينسحب حفظًا لماء وجهه.

كان يسير مطأطئ الرأس، يجر قدميه جرًا، لا يعرف وجهته، لكنه ما زال يمضي قدمًا.

حتمًا كان ينتظر من مديره رد فعل آخر؛ فقد كان موظفًا كُفئًا بشهادة الجميع، إلى أن أصابته اللعنة!، لكن هذا ما حدث على كل حال.

تتصارع الأفكار في رأسه، فصوت يناديه من أعماقه أنْ عليه الأخذ بالثأر، والآخر يحذره أن يفعل، استوقفته صرخات الأطفال داخل الحديقة المجاورة، وقد تهافتوا على من سيلتقط الكُرة أولًا، والتي باغتته واستقرت تحت قدميه، كانوا

يرمقونه منتظرين أن يركلها إليهم، ولكنه خيب آمالهم، وتفاداها غير مبال، غمغم ملوحًا بيده: "ماذا رأى هؤلاء في الدنيا من خير ليكونوا سعداء لهذا الحد".

- خالد، خالد!

التفت ليرى من يناديه، فعقد حاجبيه كيف عرف هذا الغريب اسمه، فبادره بالسؤال:

- تقصدني أنا يا أخ؟

كاد الرجل أن يتراجع، ولكنه قال:

. أعتذر أني استوقفتك، لكني رأيت أنها سقطت منك فلحقتُ بك لأعطيها لك، قالها وهو يمد يده بطوق فضي به دلاية محفور عليه اسمه.

وما كان من بطلنا إلا أن ضغط على أسنانه بقوة، وأطلقت عيناه شررًا، مد يده اليمنى، وألقى بها أرضًا بكل ما يمتلك من قوة.

. ومن قال لك أني أريدها ومن سمح لك أن تتبعني من الأساس؟

وقفت الكلمات في حلق الغريب ولم يعرف ماذا عليه أن يفعل، ولكنه سرعان ما قرر وقال:

.أنا آسف ظننتها تهمك وفهمت أنه عليَّ أن...

بتر خالد كلماته بإشارة من يده بأن يرحل، ففعل الغريب، ولكن الذكرى لم تفعل!، فتذكر ذلك اليوم الذي أعطتها له حبيبته في يوم «الفالنتاين»، ويا لها من صدفة!، جاءت لتزيد الأمر سوءًا على سوء.

كان يرى في هدوء ملامحها ملاكًا بريئًا حاشاها أن تخطئ، والعبارات التي تخرج من ثغرها بلسم للجروح، وهي الحور العين بذاتها!، كانت دائمًا تؤكد له الصورة التي رسمها لها في خياله، والتي طالما أفصح لها بها دومًا، فكلما شك تجاهها بشيء هَمت توضح له حُسن نيتها، وأنه يظلمها بما لم تفعل، وسرعان ما يصدقها رغم تكرار الخطأ وتعدده! ولكنها تؤكد أنها بريئة براءة الذئب من دم ابن يعقوب، فيشعر هو بالندم.

فرك وجهه بضغطات سريعة، علَّها تبعد الأفكار الشيطانية عن رأسه، ثم فتح زرار قميصه العلوي؛ لربما يطفيء النسيم النار التي اشتعلت بداخله.

توقف فقط حينما وصل إلى الكافيه، الذي اعتاد أن يأخذها إليه، لفت انتباهه فتاة تشبه هيئة حبيبته، استدار مدققًا، ولم

يصدق ما رأت عينيه، فقد كانت تجلس هي بالفعل متوردة الخدين مع شاب وسيم خفيف اللحية، ويبدو أنهما يتبادلان ألطف العبارات، يا له من وقح!، ألم يجدا غير هذا المكان ليلتقيا!.

لم يفكر كثيرًا، وسرعان ما قادته نفسه نحوهما، دفع الباب بقوة ألصقته بالجدار من خلفه، بل كاد يتهشم لولا ستر الله، اقتحم حديثهما موجهًا كلماته إليها:

هكذا أنتن النساء، الخيانة تجري في عروقكن، ولولا أن أمي أجبرتني على الارتباط ما كنت سأفعل، فلا خير فيكن، ولا سامحكن الله.

ثم ألم تكن مشكلتك أنك غير قادرة على تحمل مسئولية رجل في حياتك؟، فما هذا الذي يحدث إذًا؟!، لسنوات كنتِ تبنين قصورًا من الوهم، "سأظل لك طوال حياتي، لا أستطيع العيش بدونك"، و و و...!.

منذ زمن وأنا أشعر بأن هناك خطأ ما، أكنتِ تنتظرين من سيفوز بالمعركة، ومن سيثبت مهاراته فتظلّي معه؟! أم أنني كنت لكِ سُلمًا تُسكِتين به الجميع لسؤالهم دومًا كونك عزباء، وستتركيني حينما تجدين الأفضل مني؟، وماذا عن قلبي الذي حطمتيه؟!.

أما هي فكانت تنظر إليه فقط، وتفرك يديها ببعضهما، وأنفاسها متضاربة، وحين تحدثت قالت:
عذرًا.
انفجرت العروق في وجهه، وبحركة سريعة وغير متوقعة التقط السكين الموضوعة على الطاولة بجانب الطعام، ووجهها نحوها...
ولكنه استيقظ، وحمد الله أنه لم يرتكب ذنبًا كان سيندم عليه مادام حيًا.

"يبدو أن واقعي يطاردني في أحلامي ليقول شيئًا ما! غالبًا أن أمي كانت مُحقة، وعليَّ أن أُفكر في الحياة بشكل مختلف، وإلا سأهلك لا محالة".

# عن شعور الغدر سأتحدث...

# إيمان قواسمية

# تمهيد

في دنيا جميلة، لكن غريبة و عجيبة، تتأرجح بين الوقت والزمن، لتخلق لنا ذكريات خطى نسيجها في قلوب آليفيها، لتصنع من النفس ذوات جديدة، فيا منادي هل من مجيب؟.

أصحبك عزيزي القارئ في عالم الشخصيات المختلفة التي تجسد الحزن والخذلان، لتستعيد بدورك حقائق من عالمك قد عاشرتها وعايشتها لتجد نفسك منغمسًا معها، بدور من الإنسانية التي صُنعت من نكهات الألم، لتتحسرعلى أوجاع الماضي، فتلامس الذكريات خد الأوهام التي بعثت الحياة من جديد لليائس، لترسل الودائع الحزينة في رحلة التأقلم مع التغيير، فتخرج ثمار الأمل علها تمحو طبائع الثعالب، وما بدر من خيانة زمن.

# (١)

# وتعود الأيام

داخل مبنى بجانب المدينة تحده المناظر الخلابة الطبيعة، والغابات الشاسعة، والأشجار الخضراء العالية التي تسر الناظرين، ذات نسيم عليل، ورياح هادئة محببة للقلب.

تميز بمساحته الكبيرة، والطراز العصري، بصبغته البيضاء، بخيوط ذهبية وبتصميم فخم، يدل على جمالية المكان ورُقيِّه، وذوق مهندسيه وثراء صاحبه الفاحش، فقد تعدى الطابق الثالث في علوه. بعيدًا عن المرافق وأماكن التسلية، كانت هذه مواصفات مدرسة للفنون الجميلة واليدوية للتعليم الخاص، لامرأة في الثلاثينيات من العمر: جميلة الوجه، حسنة المظهر، أنيقة اللباس، متوسطة القامة، تجول بكعبها العالي في إحدى القاعات الواسعة، متنقلة بين الزهور كفراشة الربيع بابتسامة حلوة لا تفارق ثغرها، زادتها وقارًا وتواضعًا، لترى نتاج رحيق زهراتها، مما تعلمنه هذا الأسبوع: من أخذ مقاسات، وتنسيق الاقمشة، وتركيب على المانكان،

فتفرح بأعمالهن وإن كانت غير مكتملة، أو تحتاج إلى كثير عمل وإتقان. دقَّت ساعة ختام درس اليوم، لتصفق بكلتا يديها:

-انتهى الدرس اليوم يا حبيباتي، نلتقي غدًا في حصة أفضل ودرس أجمل.

غادر الجميع ومعهم ليان المُدرِّسة، لتعود إلى المنزل وهي فرحة؛ لقضاء بقية اليوم مع زوجها والأولاد، فقد اشتاقت لهم، وما كانت إلا لحظات ودقائق حتى دخلت الفيلا، لتجد زوجها في الحديقة، يشرب كوبًا من القهوة، و يقرأ رواية من رواياته المفضلة، ابتسمت واتجهت نحوه من الخلف، مُحاولة إخافته، إلا أنها باءت بالفشل، ابتسم زوجها لمزاحها، فقد تعود منها وجهًا مرحًا بشوشًا وقلبًا طيبًا نقيًا، سألها زوجها مبتسما: كيف مضى يومك بالمدرسة؟

ردت عليه بابتسامة: كان جميلًا وممتعًا، رغم أني تعبت.

فرد عليها بجدية وقلق:

- خذي إجازة للراحة، سيكون أحسن لصحتك ونفسيتك.

فأجابت بصدر رحب، وابتسامة تطمئن فيها زوجها:

- لا أحب الجلوس وحدي في البيت، من دون القيام بشيء، وأنت تعمل، والأولاد في المدرسة، كما أني أُفضِّل الأقمشة

وفوضى الخيوط و الإبر، وتشكلت ابتسامة بلهاء على وجهها، لكنها لطيفة، لتختم كلامها هنا، وتباشر إخباره بيومها وتفاصيله الدقيقة وكيف يمر، والفرحة ظاهرة على وجهها، مما زاد لمعة عيونها، ولم يكن لزوجها إلا الاستماع، والإصغاء بصدر رحب، والفرح معها بابتسامة حب.

توقفت فجأة عن الحديث، عندما رن هاتف زوجها، وقد تغيرت ملامحه، حين وجد المتصل مُدرِّسة أولاده، أجاب بهمهمة، ورد على المتصل:

" سأحضر حالا"

- ما الأمر؟ هل كل شيء بخير؟.

يخبرها سيف أنها مُدرِّسة الأولاد، وأن أحد التلاميذ قد ضرب رغد ابنتهما، وأن رسيم قد ضرب الطفل، دفاعًا عن أخته.

توجها إلى المدرسة؛ ليعلما الموضوع بالتفصيل، وما هي إلا دقائق وكانا في رواق المدرسة، متجهين إلى غرفة المديرة.

لم يكن دخول الغرفة أمرًا سارًا للجميع، أو لليان على الأقل، فقد كانت الصدمة بالنسبة لها كبيرة!. عندما فتح الباب، سمعت الصوت نفسه، صوت الشخص الذي يحدث المدير،

وهو يعطيها ظهره، ملامح الجسد نفسها، رائحة العطر التي لم تتغير، تشبه خليط المسك و الياسمين مع زيت العود، خفق قلبها بشدة، واصفر وجهها وتعرق، ورجفت ذاتها، لم تتوقع يوما أن تكون في هذا الموقف، لم ينتبه أحد لها؛ لانشغالهم بالحديث عن الواقعة، وكانت هي عكسهم، مهتمة بتفاصيل تبدو تافهة بالنسبة لغيرها، ثم استفاقت من شرودها، إثر حضن ابنتها الباكية تشتكي لها، وابنها يخبرها بما حدث وكيف دافع عن أخته، وشعوره بالفخر؛ لأنه بطل، لم يترك أحدًا يعتدي على أخته، كما كانت توصيه هي و زوجها سيف.

لم تستطع ليان البقاء كثيرًا، همت بالخروج من هناك قبل أن يسير الوضع إلى مواجهة لم تردها، ولن تريدها، فقد تركت الماضي للماضي، و كان أمرها لله سبحانه، أسرعت وأخذت الأطفال، وعادت إلى السيارة، وتركت زوجها يحل المشكلة مع المديرة، وقد عادت إلى السيارة وهي في حالة شرود وذهول، من هذا القدر الذي يخرج منها، يا لها من دنيا وعالم صغير!.

عاد جسدها إلى السيارة، وهي تحتضن ابنتها التي نامت، ودموع في طرف جفونها، وشهقاتها تخالجها كل مرة، لم يكن عقل ليان معها، فقد تذكرت ذلك الوجه جيدًا -كيف لا- وهو وجه قد تربَّت معه، وأكلت وشربت معه، بل نامت وأمنت

نفسها وروحها معه، لم تتوقع أن ترى نفس الوجه بعد أربع عشرة سنة.

عادت ذاكرة ليان بها للطفولة وريعان الشباب، كيف عاشت وكيف كانت حياتها، لم تكن ليان من الطبقة المخملية أو الغنية، بل كانت من طبقة فقيرة، تأكل إن عملت واجتهدت من كسب قوتها، تميزت بأخلاقها وجمالها الفريد، وحبها للناس، وطيبة قلبها، ونقاء نيتها، والأهم اجتهادها، وتفانيها في حب الدراسة والعمل، فقد كانت تدرس وتعول عائلتها، بالعمل في إحدى مكتبات المدينة، توفيت والدتها وهي في عمر الأربع سنوات، وما لبث والدها كثيرًا حتى لحقت منيته بزوجته، لتبقى وحيدة والديها في عالم غريب لا يرحم أحدًا. تولت عمتها تربيتها مع زوجها -العم عمر- اللذان كانا خير سند لها، لم تشعر ليان يومًا بفقدان الأهل، فعوض الله كبير، مرت الأيام وتكبر الصغيرة في كنف دافئ، بأيامه الحلوة و المرة، لتتعلم الخير والأخلاق، وحب الذات وحب الغير، بشخصية مرحة ومحترمة، في حي يُكنُّ لها كل التقدير -وعلى ذكر الحي- لم تكن ليان في هذه الحياة وحدها، كما تركتها الاقدار، بل كانت تؤنس وحدتها وتقضي وقتها وتشارك همها -جنة- ابنة الحي وجارتهم.

لم تكن جنة مجرد صديقة عابرة، بل كانت أكثر من صديقة وأخت، بل جزءًا من حياة ليان، وهذا ما كانت تعتقده ليان، أو -على الأقل- ما كانت تعتقده.

تغير كل شيء في لحظة، عندما كانت ليان وجنة في السنة الثانية من كلية الطب، لم تكن جنة بذلك القدر من التفوق، لكنها تميزت بذكائها، وقد ساعدها ذلك في دخول كلية الطب مع ليان، عكس ليان التي كانت تحظى بشعبية كبيرة بين الطلاب والأساتذة، مرت مدة وبدأت ليان تلاحظ تغير جنة عنها، لكنها كانت تضع المبررات والأعذار لها دومًا، حتى جاء اليوم بعاصفته، فرأت دخول الأمن مع بعض الإداريين لتفتيش بعض الطلاب -وكانت هي منهم- استغربت! لكنها لم تعارض؛ لأنها تعلم من تكون، لكن الوضع باء بالسوء، عندما اتُهمت بسرقة بعض من مواضيع الامتحان، في مادة علم الأنسجة، وعثر على الأوراق بالفعل، في مغلفها الأسود بحقيبتها، والتي قد أكد أستاذ المادة عليها، بل أكثر من ذلك، مما زاد الطين بلة أن أعز صديقاتها التي اعتبرتها منزلًا روحانيًا، وسقيفة متينة كانت تأوى إليها، وكانت لها بالمثل، شهدت زورًا ضدها، وأنكرت علاقتها بها، وما كان ذلك ليصدق!، حقًا.. فليس كل منزل بيتًا، وليس كل صديق أخًا، وليس كل شخص جديرًا بثقة.

لم تعد ليان تشعر بأي شيء من حولها، لا همسات الطلاب ولا نظراتهم لها، كل ما كانت فيه أنها تشعر بإحساس لم تجربه من قبل، شعور أن يأتي السوء من شخص حسبته طيبًا، دخلت ليان في صدمة، بل دخلت في موت روحي، عندما قالت

جنة باستخفاف وخبث: ماذا تنتظرون من أحد من دون أهل، لم يتلقَ سوى تربية الشوارع.

وتقترب منها أكثر فأكثر، وتهمس في أذنيها بكل حقارة ودنائة؛ لتعترف قائلة:

- أتعلمين أنني من وضعتها في حقيبتك؟، مشكلتك أنك تستعملين العقل في الدراسة فقط، لا في أمور الحياة، كنتِ مجرد شيء أستغله، لكن الآن عليَّ التخلص من الزيادة - القمامة يعني!- فالحمل كبير، عليَّ الاجتهاد أكثر للحصول على النجاح، لكن ليس بوجودك، فهذا مستحيل، أنت عائق، ثم ضحكت بخفوت، وغادرت حياة ليان منذ ذلك الوقت إلى الأبد، لكن للحياة رأي آخر!.

.....

انتهت الحادثة بمجلس تأديب في ١٢ من أكتوبر ٢٠١٠ إلى فصل الطالبة ليان من كلية الطب نهائيًا، وبعقوبة وقف سنتين

عن الدراسة، مع أن كل الأساتذة والمحاضرين حاولوا التوسط لها، فقد شهدوا بأنها من أفضل الطلاب وأنجحهم، لكن هذا لم يُجدِ كثيرًا، رغم براءتها التي لا يعلمها إلا الله وتعلمها هي، إلا أنها لم تخلُ من دفع ثمن سنين حب وصداقة، لتشبه بعد ذلك تلك الغيمة تحمي القطار المتجه إلى المستقبل، لكنها اختفت في منتصف الطريق تاركة القطار يواجه ما تخبئه الأيام القادمة.

لم تتخطَ ليان الصدمة، ولم تأخذ منها سوى درس قاس، تعلمته بالعنف والقسوة، تلاشى حلمها وحلم حبيبتها عمتها، وقد كان سبب دراستها للطب رغبة عمتها لها، فقد ظلت تردد وتقول لها: أريد أن أرى صغيرتي بالأبيض دائما كحُلَّة الثلج، وتردد بفخر: "الدكتوره ليان"، لكن شاءت المشيئة أن تعيش ليان هذه المرارة، لتتجرعها كل مرة. لم تكن من البداية سوى تلك الشمعة التي تضيء، لتنير درب الكفيف إن أبصر يومًا، وتصبح أمل اليائس إن آمن، لكن هل علمت يومًا أن التي تضيء وتنير هي الشمعة التي تحضن الأمل بخيط رفيع، يحترق رويدًا رويدًا لتذوب مخلفة رؤية؟!، إنها عند الناظر جمالًا، وعند النفس تضحية، هكذا أدركت ليان أنها من كانت تضحي، وستضحي بالأغلى، لكنها قررت النجاح والتغلب على الرماد بشرارة من نار العزيمة؛ لتشتعل من جديد من آثار الدخان.

عادت ليان إلى الحياة بعد سنتين، من بعد رحيلهم: هي، وعمتها، وزوج عمتها، إلى مدينة أخرى، لتدرس إدارة الأعمال، فتنجح وتؤسس عملها الخاص، لم تكتفِ بهذا، بل تعلمت حرفة أمها المتوفية -الخياطة-، وأصبحت مصممة أزياء، واندمجت في المجال، لتستقر بعدها حياتها بتعرفها على زوجها والزواج منه، وإنجاب أحلى طفلين هما رسيم ورغد، لكن تعود آلة الزمن في حياتها إلى نقطة، كأنها دورة تباشر من جديد.

لم تتوقع ليان أن ترى نفس الوجه رغم تغير ملامحها، من يصدق أن جنة التي كانت تهتم بأدق تفاصيل الجمال سوف تصبح عجوزًا في الثلاثين، من تجاعيد إلى اسمرار وحروق في الوجه و خشونة في اليد، تذكرت كيف كانت تحمل كريم اليدين، وتستعمله أكثر من مرة في اليوم!، تساءلت ليان عن حالها الصعبة، وثيابها الرثة، وتشقق أقدامها، كيف لطبيبة أن تترك نفسها لهذه الحال!، ماذا حدث لها؟!، فعلًا، غدر الزمن صعب.

استفاقت من ذكرياتها، عندما ركب سيف زوجها السيارة، ليخبرها ما حدث:

-"لقد حللنا الوضع، يبدو أن ابنها لا يطيعها، ويسبب مشاكل لغياب الأب، فهي مطلقة، وتعمل عند ناس أكابر، فتساعد في التنظيف وخدمة المنزل، وقد دفعوا تكاليف تعليم ابنها مساعدة لها، وأتت اليوم لتطلب من المديرة العفو لابنها، وعدم طرده؛ لأنها لا تريد منه ترك المدرسة".

كانت ليان تنصت، وتستغرب من كل كلمة تخرج من فم زوجها، لتقول مُحدِّثة نفسها: يبدو أن الله لا ينسى عبده، هذه التي نعتتني يومًا بتربية الشوارع لغياب أهلي، رغم أني لا ذنب لي بموتهم، بل قدر الله وما شاء فعل، ها هي اليوم تقع ضحية كل كلمة قالتها، تيتم الابن من الأب وهو يتنفس في أرض الله، تخلصت مني لأنني كنت قمامة بالنسبة لها، وها هي الآن تعمل في جمعها برغبتها لقوت يومها، في سابق عهدها ظلمت شخصًا أحسن إليها، واليوم أرى أن الأيام ظلمتها، لكن الفرق أن الله أخذ لي حقي، حق عبدٍ مظلوم، لكن من سيأخذ حقها؟!، لكل منا عمله وما يحصده، لكن حصادها لم يكن خيرًا، لا أشمت فيها -اللهم لا شماتة- يعلم الله أنني لم أتمنَ لها السوء يومًا على ما فعلت بي، لكن أتمنى لها أن تكون هذه آخر همومها، ويبقى تساؤل: لماذا فعلت هذا؟!.

ليان محدثة زوجها بحزن: أرجو أن يفرج همها عاجلا غير آجل.

سيف: أتمنى ذلك -لكن صحيح!- هل لك سابق معرفة بها في اجتماعات أو لقاءات سبقت في المدرسة؟!، بدا لي أنها تعرف العائلة.

ليان بغموض ثم ابتسامة: لا ليس لنا لقاء، ربما سمعت باسم العائلة فقط، ثم استأنفت قائلة:

أتمنى لها العون؛ فتربية الأولاد صعبة هذه الأيام، ثم نظرت إلى ابنتها رغد النائمة في حضنها، وشرعت في تقبيل جبينها بكل حب، ونظرت إلى ابنها النائم باطمئنان، وابتسمت وهي تقول في نفسها:

ليان: لم أقل الحقيقة، لكنني لم أكذب أيضًا، فأنا لا أعرفها في حياتي هذه، سأروي لكم قصتي يومًا ما، لكن ليس الآن، ربما في الغد البعيد؛ فكل منا قد تعرَّف يومًا على صديق لا يستطيع كرهه مهما فعل، رغم جفاء القلوب بيننا، ويبقى غدر الزمن أصعب.

# (٢)

# قهوة في الانتظار

في غرفة مرتبة ونظيفة جدًا، تملؤها الحيوية والطفولية من دببة ودمى ونجوم وأهلَّة مضيئة وجدران من اللون الوردي، كانت تنام فتاة في مقتبل العمر في سريرها بهدوء الأطفال، ليتكمش وجهها، إشارة لاستيقاظها على صوت المنبه.

شرعت هلال في تمدد لإسكات المنبه وهي تبتسم وبادرت بالنهوض، فاليوم عطلة وقد أرادت التجول والتفسح؛ للتعويض عن أسبوع عمل شاق، وما هي إلا لحظات وستغادر منزلها الصغير الذي تعيش فيه وحدها، أغلقت الباب وتأكدت مرارًا و تكرارًا أنه مغلق، ثم نزلت من الدرج وهي تقفز وتغني.

التفتت نحو الشمال، كان الشمال دومًا طالع الحظ عندها، واستكملت طريقها في تفائل، وكانت تلقي السلام و التحية على كل من تعرفه، بعد ساعات وساعات تعبت أقدام هلال من المشي الطويل، وتعب كتفاها من حمل أكياس المشتريات.

تفاجأت هلال بمقهى جميل مخصص للنساء، لم تره من قبل، يبدو عليه أنه فتح من مدة وجيزة، منظرالعائلات من نساء وأطفال وأمهات أعجبها، فقررت الذهاب إليه لترتاح قليلًا وتشرب فنجانًا من القهوة.

اقتربت منه متستغربة اسمه "قهوة في الانتظار"، بث الاسم فيها نوعًا من شعور غريب، لم تعرفه من قبل، ولم تجربه، لتتمتم في نفسها:

"أرجو أن تكون جودة القهوة بجودة المكان"

بمجرد أن خطت هلال أولى خطواتها داخل المقهى بهتت في جمال المكان وبريقه، وجدت نفسها تتساءل عما إذا كانت قد دخلت عن طريق الخطأ في إحدى قصور العصور الوسطى بطراز النهضة الإيطالية؟!، حيث تباهت السقيفة بثرياتها المتدلية، والحوائط تتوسطها لوحات جدارية بأبهى حلة، ما جعلها مميزة أكثر من كونها مقهى لتناول قطعة من الحلوى وكوب من القهوة.

جلست هلال في إحدى الطاولات، وما لبثت كثيرًا، حتى أتت النادلة بهندام جميل وأنيق، لتأخذ طلبها الذي كان عبارة عن تشيز كيك باللوتس، وكوب قهوة أمريكانو باردة، تنعش في

هذا الجو الحار، انتبهت هلال أثناء تقديم الطلب إلى بطاقة النادلة، كان اسمها "نجم"، لتبتسم أكثر "تشبه اسمي".

في انتظار الطلب، أكل الفضول هلالًا عن سبب تسمية المقهى، ولم تنتظر كثيرًا فقد أتت نجم به، قالت هلال:

- اسم على غير مسمى.

فردت نجم باستفهام:

-أعتذر، لم أفهم؟!

أجابت  بابتسامة، وهي تتذوق قطعة من الحلوى:

- لم أنتظر كثيرًا، لمَ -في الانتظار- إذن؟

فابتسمت نجم بحزن:

- خدمتنا سريعة، بالصحة والهناء.

لاحظت هلال حزن نجم بعد السؤال، تأكدت أن للاسم قصة، فقررت إشباع فضولها، لعله يقودها إلى مفتاح الباب، فنادت نجم مرة ثانية وقالت:

- لنتعارف أكثر: اسمي هلال، أنا أعمل في صالون تجميل، إنه في الشارع المقابل، وأنتِ؟، ومدت يدها منتظرة الرد.

مدت نجم يدها:

- وأنا نجم، سررت للقائك هلال.

كان ملمس يدي نجم ناعمًا جدًا، وكأنها ليست نادلة تعمل في تقديم الأواني وغسلها!.

رددت هلال بنوع من الجدية اللطيفة:

- "لن أخفي عليكِ الأمر، أنا أيضًا أمتلك مدونة على الفيسبوك والإنستغرام، أنشر فيها بعضًا من أعمالي و يومياتي، وأحيانًا بعضًا من القصص لأماكن زرتها، وقد أعجبني المحل، وأريد معرفة قصته، و كيف صمم بهذا الجمال والإتقان، والأهم لمَ سمي بهذا الاسم؟".

لم تجب نجم، وأكملت هلال مسرعة على أمل إقناعها:

-يمكنك اعتباري شخصًا غريبًا، تفضفضين له، ثم يذهب كل منا في حال سبيله.

-أفضفض!، ولمَ أفضفض؟، ثم ما أدراك أنني أعلم بالقصة؟!، ولمَ أنا بالذات؟!

-لا يوجد غيرك هنا يعمل، وعندما سألت -قبلا- بدا الحزن على ملامحك؛ لهذا ظننتك تعلمين.

وابتسمت ببلاهة: أليس كذلك؟

- حسنًا، هذا يعتمد على صبرك، ينتهي العمل في تمام العاشرة مساءً، أغلق المحل ثم أروي لك، غريب لغريب، ومدت يدها على إنه إتفاق.

مدت هلال يدها بالموافقة، ليعودا إلى وضعهما السابق، بانتظار أن تدق ساعة الزمن.

طال انتظار هلال، فالساعات بدت لها كأنها سنين، عكس نجم التي كانت مستمتعة بالعمل، حتى أنها لم تشعر به كيف مر؟!، أحضرت معها كوبين من القهوة العربية الساخنة:

- لاحظتُ أنك تحبين الحلو، فحضرتها حلوة لكِ.

شكرتها هلال، وأخذت تستمع إلى قصة المقهى منها:

- " اسمي نجم، قبل سنين كنت أعيش مع أختي قمر، بعد وفاة أهلنا لم يكن لنا سوى بعضنا، أنهت أختي دراستها الأكاديمية، لكن مع الأسف لم تعمل بشهادتها، احتجنا إلى مصدر دخل؛ فالتأمين الذي نحصل عليه من عمل بابا لم يكفنا سوى أول أسبوعين وأحيانًا أقل إن مرضت إحدانا، فقررت أختي العمل، وطلبت منها أن أعمل أنا أيضًا لكنها رفضت، قائلة: بأنْ أُكمل دراسة الماجستير أفضل لي، في داخلي

كنت أعلم أنه لا جدوى من ذلك، فالعمل أصبح صعبًا، لكنني لم أخالفها الرأي، يكفيها همًا من الدنيا أن أكون أنا وهي عليها، مرت مدة وتحسنت أحوالنا -مستورة والحمد لله- إلى أن قررت العمل خفية عن أختي، طالما أنها لن تعلم ولن أهمل دراستي، فلا بأس، وهذا ما كان، وجدت عملًا في مطعم محترم، عملت فيه مدة ستة أشهر، وكان العائد جيدًا جدًا، كنت أجمعه في علبة، خفية عن أختي لحين أصارحها، لكن الفرحة لم تمتد، عندما عاد صاحب المطعم اللعين ذاك، كان كل شيء جميلًا، حتى تلطخت الصورة بدناءته، فقد كان حقيرًا سيء المعاملة، لا يترك أحدًا دون توبيخ أو صياح وأنا كنت منهن، لكن لأني كنت صارمة في تعاملي كان يخشى الفضيحة، فأنا لا أسكت عن حقي مهما كان، ليتني توقفت عن العمل ساعتها، لكن الانسان بطبعه طماع، أردت حياة كريمة، أنا أيضًا أغرتني النقود، لا أنكر ذلك، منعتني غريزتي البشرية من التوقف، كوني في حالة من الفقر، أردت الخروج منها".

وابتسمت بسخرية:

- انتهى الموضوع بموته.

صُدمت هلال من كلامها، ولا تنكر أنها خافت، لا حاجة لها في الإكمال، فالوضع يدل على أنها القاتلة، تبادر إلى ذهنها أنها

ستقتلها أيضًا، كما فعلت بذلك اللعين، بعد أن كشفت لها عن سرها، فضولها قادها إلى هذا، فلتتحمل المسؤولية.

أكملت نجم:

- "نعم، ما تبادر إلى ذهنك الآن، قتلته بيدي هاتين، قررت أخيرًا التوقف عن العمل، وذهبت لأقدم استقالتي، فسألت عنه، فأخبرني زميل لي أنه في المطبخ، دخلت لأجده يوبخ الطاهية، ويحاول تعنيفها، لم أتمالك أعصابي فقمت بدفعه ليبتعد، لكنه وقع على آلة حديدية -كانت في المطبخ-، وقع على رأسه ولم يتحرك، تلك الواقعة كانت كفيلة بمغادرته، ليسلم على أجداده في عالم الموتى"، أردفتْ قائلة في تساؤل وبرودة تامين:

-هل تريدين الاستماع إلى البقية من القصة؟

لم ترد هلال بكلمات، فذاتها كلها ترتجف، تخبرها عن جريمة قتل كأنها تخبرها عن إنجاز، لم يرجف لها جفن ولم تسل لها دمعة، فسألتها:

- كيف لم تدخلي السجن، هل أنت هاربة؟!

ابتسمت نجم بخفوت وحزن، وأكملت:

-"لا، لست هاربة، هناك من هو في السجن محلي، عندما قتلته علمت أنه مات من الدماء، يستحيل أن ينجو وكل تلك الدماء قد خرجت من رأسه، والطاهية قد هربت من الخوف، وأنا كذلك، لم يتلقَ المساعدة، هربتُ، لا أعلم إلى أين يقودني المصير، لكن وجدت نفسي أمام منزلي، دخلتُ وذهبت إلى الحمام، فغيرت ملابسي ولبست واحدة أنظف، و تركت الأخرى في السلة، بعد مدة جاءت أختي، وقد تبادر إلى ذهني أن أعترف بجريمتي، وأخبرها الحقيقة".

بعد مدة خرجت أختي من الحمام، مرتدية ثيابي نفسها التي كنت بها هناك، تبادر إلى ذهني فكرة شيطانية، طلبت منها أن تأتي معي إلى محل ما، قد اشتريت منه ونسيتُ حقيبتي هناك.

غادرنا المنزل متجهين إلى المحل، ولم يكن في نيتي إلا الذهاب إلى مركز الشرطة، وصلنا ودخلتُ، وأختي في استغراب ولم تتحدث بكلمة واحدة.

وصلت وبحثت عن الظابط أو الحارس أو أيًا كان، وقلتُ أنها قتلت صاحب المطعم الذي أعمل فيه دفاعًا عني وعن الطاهية، فقد كان يعنفنا لفظيًا وجسديًا قبل دخول أختي ودفعته على الآلة، صُدمت أختي بالموضوع وعن ماذا أتحدث!، لكنني واصلت الاعتراف بكل ما حدث.

الجريمة كاملة، والقاتل موجود، والبريء سيُحاكم، لم تبتلع أختي الصدمة، خرجتُ وتركتها تواجه مصيرًا كنت سأواجهه أنا.

استغربت هلال من حديثها:

-ما دخل أختك بالجريمة، وكيف للشرطة أن صدقت، ألا توجد كاميرات أو حجة غياب؟!، الثياب نفسها لا تعني أنها القاتلة!

وتجيب نجم عن كل سؤال:

-" دخل أختي أنها أختي التوأم، فنحن توأم حقيقي، انظري؛ لدينا الخانة نفسها تحت العين، وأرتها صورة لهما معا".

اندهشت هلال من أنهما فعلًا في تطابق تام!

واسترسلت نجم:

-" الشرطة صدقت ما قلت؛ لأن الكاميرات تظهر أنها أنا وأنا هي والطاهية شهدت بهذا، لا يمكن لأحد أن يفرق بيننا إلا أمي -رحمها الله-، أما حجة الغياب؛ فأنا من استعملها ضدها، فقد ذهبت أختي لشراء بعض الأغراض التي في الغالب اشتريتها

أنا، وصاحب المحل لا يفرق بيننا أيضا". تنهدت نجم وأكملت والدموع تنهمر:

-" لست نادمة على قتل ذلك اللعين، لكن قد ندمت على وشايتي بأختي، وتضحيتي بها، رغم أنها فضلتني على نفسها ومازالت، فقد اعترفت بأنها من قتلته وتلبست التهمة بصدر رحب وهي تعلم أنني من فعلها، آخر مرة قد رأيتها فيها كان قبل خمس سنوات في جلسة الحكم، ابتسمت لي قبل النطق بالحكم وغادرت، مرت الأيام والسنين والندم يأكلني ليل نهار، لا أعلم لمَ فعلتُ ذلك رغم تفكيري بالأمر، إلا أن عقلي يتوقف عند كلمة لماذا؟! ولا جواب لسؤال، حاولت التصالح معها ليس طلبًا للمغفرة والسماح، فأنا لا أسامح نفسي فكيف لها أن تسامح؟!، زرتها مرات عديدة لكنها أبت وقد أرسلتْ الطاهية ومعها رسالة إليَّ:

« إن التقينا يومًا أريد فنجانًا من القهوة من صنع يديك»، كانت هذه آخر كلماتها التي سمعتُها على لسان غيرها، لا أعلم لمَ اختارت القهوة فهي تكره مرارتها، وانهمرت الدموع بغزارة أكثر؛ يبدو أنها قد تجرعت من مرارة الغدر ما يكفي لينسيها مرارة القهوة؛ ولهذا فتحت هذا المقهى و صممته أنا لعلها تأتي لزيارتي يومًا وتشرب قهوتي، أسميته قهوة في الانتظار لانتظارها".

غادرت هلال المقهى كما دخلته غريبة، وكان هذا الوعد والاتفاق بعد أن توادعت مع نجم، فالدموع لا تزال في جفونها فقد شعرت بمأساة قمر وندم نجم، لكن هذا لن يغير شيئًا من الماضي بل الحاضر أيضًا، لعل المستقبل سيكون أفضل، من يدري؟!، لم تتوقع أن ينتهي نهارها السعيد بقصة حزينة ومأساوية، لم تكن القصة جميلة بقدر جمال المكان لكن لكل منا عيوبه؛ فالإنسان بطبعه يبحث عن وسيلة للنجاة دومًا.

رددت هلال في نفسها:

"لم تكن القصة بجمال المكان ولا أُبرر فعل نجم فالجريمة جريمة والذنب ذنب، لكني أتسائل: إن كنت سأفعل الشيء نفسه لو كنت مكانها؟!، في الأخير -كما قلت سابقًا- طبيعة الإنسان تُحتِّم عليه البحث عن وسيلة للنجاة، حتى لو كانت على حساب غيره، يبقى السؤال الذي حيرني: كيف بإمكانها أن تخبرني بجريمتها بهذه البساطة ألا تخشى أن أخبر الشرطة بهذا؟!، هل وثقت بي لهذه الدرجة؟!، قد أغدر بها كما غدرت بأختها! أم أنَّ الندم قد فعل هذا؟!".

التفتت لآخر مرة، وهمست بصوت خافت:

-" تصبحين على لقاء قمر بقهوتك، وأصبح أنا على واقع أجمل".

# (٣)

# سيوالا

تشير العقارب إلى العاشرة ليلًا، في منزل جميل، يغلب عليه طابع الأفلام القديمة من ألوان سوداء ورمادية وبيضاء، تعلوه الصور المعلقة على الجدران، من لوحات بأحجام وأشكال مختلفة، لأشخاص وأطفال، حتى المناظر الطبيعية، وفي وسط هذا الجمال، تجلس فتاة في العشرينات من العمر، ترتدي بيجامة من الستان الأخضر، وتربط شعرها بإهمال، بجانب طاولة زجاجية دائرية الحواف، عليها كوب من الشاي الأخضر بالنعناع، وطبق من الحلويات المعسلة، وبعض المكسرات.

مدت ساقيها، وأسندت ظهرها للوساد، لترتاح أكثر في الجلوس، وضعت معداتها، واللابتوب في حضنها، وهي تبتسم؛ لإنجازاتها وعملها الذي كرمت عليه اليوم، فبفضله حصلت على الجائزة -أفضل معرض لهذه السنة-.

أخذت ترتشف من كوب الشاي باستمتاع، ثم قررت بعدها غلق ملف الصور، وفتح ملف ورود؛ لتشرع بأناملها البيضاء في كتابة بعض السطور، قائلة:

- "مرحبا، أنا نهى، تلك الفتاة العشرينية، التي عاشت مع جدتها منذ الصغر بعد طلاق والديها، روت لي جدتي قصة والدي وانفصاله عن أمي وأنا بسن السنتين، بقيت مع أمي سنة أخرى لكنها ما لبثت أنْ تركتني هي الأخرى عند جدتي؛ لتبني حياة جديدة، الحقيقة أن القصة لم تؤثر فيَّ كثيرًا بعد أن سمعتها، فما عشته مع جدتي أنساني ترك أهلي لي.

- درستُ وتعلمت وكبرت وتخرجت في الجامعة، لأشق طريقي نحو النجاح، لم يكن سهلًا؛ كأي شخص بدأ من الصفر واجهت صعوبات ومشكلات، مررت باكتئاب، ضحكت مرة و بكيت ألفًا، تجاوزت كل هذا بدعم جدتي وضحكتها حين كانت تداعب خصلات شعري لتروي لي بعض الحكايات العجيبة، لم أكن أفهمها لكنها كانت كفيلة بأن تجعلني أسبح في الأحلام السعيدة، كان هذا قبل...".

توقفت نهى عن الكتابة لتمسح دموعها، بعد تذكرها أن اليوم هو اليوم الستون على وفاتها، لتكمل قائلة:

-"نعم، لقد توفيت جدتي منذ شهرين تقريبًا، وقد كان خبر وفاتها صدمة لي، لم أكن أتوقع يومًا أنني سأحضر جنازتها، مع أني أؤمن بأن الجميع ميت لا محالة، لكن الحب والعشق لشخص ما يجعلان الموت بعيد المنال، فيصدمك الأخير بقربه، رحمها الله جدتي، فلتدعوا أنتم أيضًا لها".

بعد موت جدتي بمدة ركدت أعمالي، ثم عدت من جديد بقرار المجلة التي أعمل فيها -تنظيم وإقامة منافسة أفضل معرض للسنة بالمشاركة مع مجلة سويتلاند الشهيرة-، بالنسبة لكل مصور هذه ليست مجرد فرصة بل هي الوصول إلى قمة إيفريست، بالنسبة لي كانت السهل الممتنع لتحقيق أحلامي، العمل عليه صعب لكن نتائجه ستسهل الطريق إلى محاور أخرى، وهذا ما كان، فبدأت العمل على المشروع، وكانت فكرتي أن نختار ثلاث شخصيات من مختلف المجالات، ونصور عن حياتهم و نجاحاتهم بترتيب الأفلام، ولكل لقطة منه صورة تحت عنوان، وقد اخترت من الشخصيات والفنانين، كان كل شيءٍ حاضرًا، و كنت متحمسة للاجتماع.

يوم الاجتماع حضر الجميع، وصلتُ متأخرة قليلا، فوجدت زميلتي تقدم فكرتها عن العرض أولًا، فما جلست حتى تفاجأت أنها تقدم نفس فكرتي -بل هي فكرتي!-، بل

الشخصيات نفسها!، كيف ومتى؟!!، يستحيل أن يكون تفكيرنا مشتركًا لهذه الدرجة، كانت تنظر إليَّ وهي تشرح الفكرة بكل ثقة، كأنها فعلًا صاحبة المشروع، تلك النظرة حفرت في روحي قبل عقلي، ما عملت عليه ليال، الآن يذهب إلى غيري، لم أُتعب نفسي لأعلم كيف حصلت على الملف، فالأغلب أنها مساعدتي التي ادعت المرض فجأة هذا الصباح، فهي الوحيدة التي تعلم كل تلك التفاصيل حتى التافهة منها، وحين انتهت من العرض أخبرتُ المدير بأن العرض لي، وهي قد سرقته، فلم أسمع منه سوى بضع كلمات أشعرتني بالحسرة:

- "هو أنا أصدقك أنتِ ولَّا هي، وبعدين هو فين الدليل على أنه شغلك مش شغلها، هي أثبتته بتاريخ وأنتِ لا، هاتي دليل أولًا، ومعك ٤٨ ساعة، قبل منبتدي في الإنجاز".

- غادرتُ مقر المجلة وأنا محطمة، وعدت للمنزل متعبة من التفكير، فالمدة قصيرة ولا أفكار لدي.

- دخلتُ غرفة جدتي، فهي ملاذي بعد رحيلها، تشعرني بالراحة، فحين فتحتُ الباب شممت رائحتها الجميلة التي تشبه خليط الفانيلا والزهور البيضاء، لطالما عشقت جدتي الزهور!، فكانت تزرعها وتجففها دومًا؛ لتزين بها بلار الزجاج، أخذتُ من خزانتها وشاحها المليء بالزهور البيضاء، بلونه

الأزرق السماوي الجميل، احتضنته ونمتُ على سريرها، وسافرت بعدها إلى أحلام عالم عجيب.

- لم أكن أعلم أكنتُ في علم أم حلم، فما عشته ورأيته كأنه رؤيا تحققت.

- استيقظتُ، لكن ليس في سرير جدتي، بل سرير آخر وبيت آخر، استيقظت في قرية جدتي، لم أزر هذه القرية منذ سنوات لا أعلم كم مرَّ منها، لا تخفى عني بعض تفاصيلها، فهي لم تتغير كثيرًا.

- هو أنا جيت هنا ازاي، أنا كنت نايمة في سرير جدتي.

- لم تمر مدة وفُتح الباب، فدخلت امرأة ليست بالعجوز الكبيرة، أظنها في الخمسينات من العمر، مرتدية ثيابًا غريبة، يبدو أنها كانت الموضة قبل العشرينات من العصور القديمة، لكن مع هذا كانت جميلة، ابتسمت لي قائلة:

- سيوالا، صحيتِ يا حبيبتي؟!، تعالي الأكل جاهز.

شككت في أنها تتحدث إليَّ، حتى أنني التفت يمينا وشمالا.

-سيوالا؟! سيوالا مين دي! حضرتك أنا اسمي نهى مش سيوالا!

فأجابتني العجوز في استغراب:

-هو عندك حرارة يا حبيبتي، مين نهى دي؟ أنتِ سيوالا حفيدة رفيقة عمري سولا، حتى أن ابني فيوني هو اللي سماكي تيمنًا بجدتك سيوالا، تعالي يا حبيبتي، كُلي الأول وارجعي ارتاحي، شكلك مش كويسة.

ذهبت العجوز لتجهز الأكل على السفرة، وقمت أستكشف المكان والغرفة التي تملؤها راحة جدتي المميزة، فوجدتني فعلًا في كل الصور مع جدتي وهذه العجوز، وظننت الرجل ابنها، فقد كان جميل المظهر، حسن الهندام، أسمر البشرة، ذا لحية خفيفة، وقد أثار إعجابي، وابتسمتُ لوجود هذه العائلة.

- "هو شكله حلو فعلًا، باين عليه أنه رجل يُعتمد عليه".

فجأة هرعتُ راكضة للخارج؛ باحثة عن جدتي، لعلّي أجدها هنا.

خرجتُ من الغرفة إلى غرفة واسعة خشبية مستطيلة الشكل، تتوسطها سفرة الطعام حيث تجلس العجوز مع ابنها الذي في الصورة، لكنني لم أجد جدتي، علمتُ حينها أن جدتي ميتة حقًا، يبدو أن هذا المكان لا يختلف إلا في الأسماء والشخصيات.

جلست معهم لأتناول الطعام، فقد كان المحشي لذيذًا جدًا، والبط مُحمَّرًا، وجلده مقرمشًا، لم يمضِ وقت، وانتبهت لنفسي، فأنا لا أرتدي ثيابي التي كنت بها، بل ما ترتديه العجوز نفسه، إلا أنه أكثر أنثوية ذو خصر ضيق، وأضع وشاح جدتي على شعري الطويل المنسدل، الحقيقة أنه قد أعجبني، فقد أحسست بأنِّي من الأميرات السبعة، لكن رغم هذا قلتُ في نفسي:

"هو أنا فين؟!، آه دي قرية جدتي، بس دول مين؟!، واسمي تغير ليه؟!، هو أنا بجد أحلم، ولا أنا سافرت عبر الزمن؟، بيحصل إيه؟!".

وحين انتهينا من الأكل خاطبت العجوز ابنها قائلة:

- فيوني، خذ بقية الأكل ده للكلاب.

- حاضر يا ماما، هغسل إيدي، وآخذه.

ساعدتُ العجوز -التي لا أعرفها، ولا أعلم اسمها، أو كيف أناديها- في غسل المواعين، وفي تلك الأثناء كانت تحدثني عن نفسها وابنها وجدتي، بل عني أيضًا، لم تختفِ ابتسامتي أبدا، وختمنا جلستنا بفنجانين من القهوة اللذيذة التي كانت منسمة بأعشاب ذات نكهة مُرة، لم أذق أطيب منها في حياتي.

عاد فيوني بعد أن أطعم الكلاب، وقد اتضح أنها كلابي، التي أحضرتها لتعيش معي هنا بعد وفاة جدتي، كما أني أطلقتُ عليهما اسمي: (في) و(ري)، لاحظت أنَّ شخصيتي هنا مختلفة عن نهي:

-"هو أنا بخاف من الكلاب أصلًا، أربيهم ليه؟!، لا ده أنا في عالم غريب عجيب، بس أنا لو في حلم مصحيتش منه ليه؟!!، ولَّا حياتي السابقة هي اللي حلم؟!".

استفقت من شرودي على صوت فيوني، وهو يقول بابتسامة:

-خذي، أهو خلصت الحكاية اقرئيها، وبكرة قوليلي عجبتك ولا لأ!.

أمسكتُ بالكتاب وبادلته الابتسام، واستغربت من الموضوع، لكن يبدو أنني أفعل هذا في هذه الحياة، وبدأت قراءة تلك الحكاية التي كانت مشوقة جدًا بين الانسان والحيوان، كأنما اندمج كتاب ألف ليلة وليلة في كليلة ودمنة فصارا كتابًا واحدًا، كانت الحكاية عن واحد من الأخوين الاثنين: فالكبير اسمه ملاح، وهو غني وثري وبخيل، أما الصغير فاسمه فلاح، وهو شحاذ وفقير وكريم، ضاقت به الدنيا حتى التقى عجوزًا دلَّته على طريق لإله المال، فذهب فلاح في

مغامرة، لم يعلم مصيره فيها، والتقي حيوانات عجيبة غريبة يساعدهم، وبدورهم يساعدونه.

كنت أقرأ الحكاية في فضول وشوق وحماس، وقد ذكرتني هذه الحكاية بعجائب حكايات جدتي، حيث إنها تشبهها كثيرًا، وحين تعمقتُ فيها خالجني شعور نوم كما كنت أنام دون أن أعلم بقية قصصها، يبدو فعلا أنني أنتمي إلى هذا المكان، نمت بعمق في تلك الليلة، واستيقظت في الصباح علي سرير جدتي، في عالمي -عالم نهى- فقد عدت إلى الواقع، واتضح فعلًا أنه حلم، لكنه ما زال غامضًا، رددت بفرحة وسرور:

-"سيوالا!"، أظن أنني وجدت الفكرة الجديدة.

ابتسمتُ والفرحة لا تسعني، لكن ما زلت أريد إثبات ملكية الفكرة السابقة، أخذت هاتفي وطلبت البيتزا المعتادة التي أحبها، عليَّ أن أشبع بطني أولا، ثم أفكر في حل، لم أنتظر كثيرًا وصول الطلب، فتحت الباب وأخذت البيتزا، وأعطيته النقود، فقال لي عامل الديليفري بابتسامة:

-هو حضرتك خلصتي تصوير مشروعك؟

-أنتَ ازاي عرفت أني بشتغل في مشروع تصوير؟!!!

-هو حضرتك المرة اللي فاتت قلتلك أني أشتغل ديليفري -دوام جزئي- وأدرس في كلية فنون جميلة -تصوير وإخراج-وأنا من أشد معجبينك، حتى أخذنا صورة مع بعضنا، ووقعتِ لي على القميص بتاريخ اليوم، أهو بصي كده!!.

عندما رأيت الصورة التي تحتوي على فوضى أعمالي -بعضها يُظهر فكرة الشخصيات وصورهم، والتوقيع والتاريخ- قفزت من الفرحة -لمَ لا- فالآن في حوزتي دليل بأني صاحبة الفكرة.

-هو ممكن لو سمحت تبعتلي الصورة دي، وتيجي معايا مشوار صغير؟.

-هو الصورة ببعتهالك معنديش مانع حضرتك، بس مشوار إيه اللي هنروحه معلش؟!

رددتُ بابتسامة -معاه حق يخاف-:

-لا متخفش، هو بس أنا معايا مشكلة في الشغل، والصورة دي هي الدليل على أن المشروع لي، والفكرة فكرتي، فلو تكرمت وجيت معايا تشهد أنه لي، هكون متشكرة أوي.

- آه طالما كده طبعا معنديش مانع، كده كده ده آخر أوردر كان ليكي.

ذهبتُ إلى مقر المجلة مع ذلك الشاب، وخرجت بانتصار عظيم، استعدت حقي وكرامتي، وأنا ناظرة لزميلتي بنفس نظرتها، ما أجمل العدالة!. عُرض المعرض ولاقى نجاحًا كبيرًا، وخصوصا أنه يبث الحب والسعادة، وقد استوحيته من الحلم، الذي لا أعلم إن كان حلما أم لا!.

قررتُ أن أساعد الشاب، و أجعله مساعدي وتحت إشرافي، فهو يستحق الشكر والثناء، كما أن عمله متقن، ومبدع في أفكاره، وهكذا مضت الأيام...

انتهت إحدى قصصي التي قررت أن أشاركها معكم، أنا الفوتوغرافية -نهى- أهدي إلى جدتي -سولا- وإليكم (معرض سيوالا).

# (٤)

# بائعة النسيان

غادرت ياسمين منزلها في تمام الساعة التاسعة صباحًا، تحمل في يدها حقيبة سفر صغيرة سوداء اللون، متجهة إلى محطة القطار لزيارة أهلها في البلدة الصغيرة التي تنتمي إليها، كانت فرحة؛ لأنها سترى عائلتها بعد غياب أشهر في العمل.

وصلت إلى المحطة بعد مدة ليست بالطويلة، لتتجه إلى شباك التذاكر، أخذت تذكرتها ووضعتها داخل حافظة الهاتف خوفًا من السرقة.

لم يكن هناك الكثير من الناس بل يعدون على الأصابع، نظرت حولها لتجد أحد المقاعد فارغة، أسرعت في الجلوس قبل أن يجلس غيرها، فموعد قطارها سيتأخر قليلًا، جلست بجانبها امرأة بسيطة المظهر عادية الملامح سمراء البشرة، كانت تكتب في دفتر متوسط الحجم، انتبهتْ لها ياسمين، لكنها لم تُعر الأمر أهمية، إلى أن وصل قطار السيدة أولًا،

فأخذت توقع في آخر الصفحة، ثم أغلقتْ الدفتر وغادرت مسرعة تاركة خلفها دفترها.

انتبهت له ياسمين، فنادتها بصوت عال: يا آنسة.. يا مدام.. أنتِ نسيتِ دفترك، لو سمحتِ استني كده....!

لكنها لم تُجب، وغادرت دون رجعة.

نظرتْ إليه مطولًا، أرادت أن تودِعه عند أحد المسؤولين في المحطة؛ لكن وصل قطارها المتجه إلى البلدة، فركبته ونيتها الاحتفاظ بالدفتر لحين إيجاد طريقة لإعادته إلى صاحبته.

جلست في الكرسي المخصص لرقمها بعد أن راقب أحد الأعوان صحة تذكرتها، وأخرجت بعدها الدفتر، وفتحته لعل اسم السيدة فيه، أو رقم هاتفها، لكن لا، أخذت تقلب الصفحات سريعًا بأناملها، معظم الصفحات فارغة أو بها نوع من الكتابة كالشعر أو الخواطر في بضع سطور لا تتعدى أربعة أو خمسة، وسقطت فجأة وردة ذابلة مائلة للسواد، مما دل على طول مدة جفافها به، فأعادتها وأكملت قلب الصفحة...

كانت الصفحة معنونة بعنوان "بائعة النسيان"، أخذ الفضول يأكل ياسمين لتشرع في القراءة:

(أنا نوسة، عمري ٢٨ سنة، من عيلة صغيرة، أبويا متوفي من زمان مليش غير أمي وأختي الصغيرة، كبرت في حب الأخت وحنان الأم، عشنا حياة بسيطة على قد حالنا، سُمعتنا في الحي كويسة بين الحبايب والناس الطيبة، وزي كل بنت كبرت وخلصت دراستها وملقتش شغل، قاعدة في البيت والأيام بتعدي، في عيد ميلادي الخامس والعشرين عملتْ لي أمي وأختي تورته صغيرة بالشوكولاتة وفوقها شمعتين، فرحتي بيها مكانتش تسع الدنيا، وضحكتي كانت واصلة لسابع جار، طفيت الشمعتين وتمنيت أن ربنا يسهلي ويوفقني في حياتي...

بعد مدة زي أي بنت تقدملي عريس، كان مقبول نوعًا ما من كل الجوانب، بعد ما سألنا عنه قررنا نتوكل على الله، وفعلًا بعد مدة بقينا مخطوبين، صحيح خطبة تقليدي، بس كنت مرتاحة جدًا، خصوصا أنه إنسان خلوق ويهتم بي، ظلت خطوبتنا خمس شهور -قبل كتب الكتاب- في الفترة دي حبيته كشخص دخل حياتي وغيَّرها، حسسني بمعنى وجود راجل في حياة ست عاشت كل عمرها من غير سند، حسيت أن هو كل حاجة عوضتني عن غياب أبويا، اهتمامه بي، معاملته الطيبة مع أمي وأختي خلتني أتعلق بيه أكثر وأكثر... عيلته كمان كانوا

ناس طيبين، حتى حماتي كانت تتصل كل يوم تقريبا تطمن عننا، يعني كنا من نفس الطينة مفيش زعل أو حزازات بينا، بالعكس العيلتين كانو مبسوطين أوي وأنا أكثر، كنت فاكرة عوض ربنا كان فيه.

جه يوم كتب الكتاب، كنت مبسوطة أوي، الفرحة مش سيعاني، أمي مقصرتش معايا، كانت عايزة بنتها تفرح وتفرح هي بيها، حتى الجيران مقصروش وساعدوا باللي يقدروا عليه، ده اللي يميز الأحياء الشعبية المصرية، كلهم عيلة واحدة، معاكِ في الحلوة والمرة.

الصبح رحت الكوافير اللي في الحي مع البنات، وكنا مبسوطين، ده كان لغاية ما وصلني مسدج منه -العريس اللى كان المفروض يبقى اسمي على اسمه كمان شوية-، صدمتي مكنتش عادية وأنا أقرأ المسج وهو بيقولي:

أنا آسف مش هقدر أحضر، أنا مسافر بره مصر، إن كان وصلك المسدج أنا في طيارتي، مكنتش عاوز ده يحصل، بس أهلي أجبروني على الارتباط عشان أبقى في مصر، بس مقدرش، مستقبلي مش هنا.

علاقتي بشخص انتهت برسالة فيها جملتين، كمية الذل والقهر اللي حسيت بيهم بعد فرحة مقدرش أوصفهم، ده أنا مكنتش بشوف الحياة غير معاه، زي زي كل بنت؛ تمنيت أن أبني عيلة صغيرة، مع راجل يصوني ويحترمني وأحترمه، أقدره ويقدرني، بس ده مكتملش، بعد مدة اتصلت أمه تعتذر من أمي: ده والله أخذ كل فلوس الفرح والشبكة معاه وراح، حاولنا نربطه هنا بالجواز بس عمل اللي في دماغه.

أمي مقالتش غير -ربنا بيعوض ياختي- دخلت بعدها في حالة نفسية ما يعلم بيها إلا ربنا، مرت سنتين وأنا بنفس الجسد بس مش بنفس الروح، ضحكتي اختفت وكلامي قل، مكنتش أعرف أتخطى ازاي وأنسى ازاي، معرفش هو فين أو بيعمل إيه، بس على الأغلب يكون مبسوط وكويس، ماهو كده كده حقق حلم من أحلامه، بس أنا قعدت جوا الدايرة، دائرة الحزن والقهر زي كلام الناس .

طلعت من البيت وأخدت أمشي مدة طويلة، كنت أبص على الناس، منهم السعيد ومنهم التعيس ويعلم الله في قلوبهم إيه!.

أفقتُ على صوت بنت قد عمر أختي حاطة بساط وقدامها صندوق، بتقول: أنا أبيع كل حاجة أنت عاوزها قرب وشوف...

أنا أبيع كل حاجة أنت عاوزها قرب وشوف... قربت منها وقلت:

- السلام عليكم.

ردت عليا و قالت:

- وعليكم السلام يا قمر، قولي عاوزة إي أبيعهولك، بس بقولك تدفعي الأول، وأعطيكي حاجتك، وبإذن الله تلاقيها عندي، ها عاوزة إيه؟.

مقدرتش أمسك نفسي من الضحك، ضحكت لأول مرة بعد سنتين من قلبي، أسلوبها حلو وكلاهما أجمل، سألتها: اسمك إيه يا حلوة؟.

قالتلي: مش مهم اسمي، المهم أنتِ عاوزة إي؟.

ضحكت ورديت قلتلها: طيب يا حلوة أنا عاوزة النسيان، ألاقيه عندك؟، و متخافيش هدفع الأول وبعدين آخذه.

بصتلي البنت مدة كده، وبعدين ابتسمت وقالتلي: يااااااه... ده أنتِ قلبك مليان، بس متخافيش عندي حاجتك، بس الأول

عاوزة منك توعديني أنك لما تأخذيها مترجعيش تاني... ماشي؟.

استغربت كلامها مع أني كنت بهزر معاها، النسيان مش حاجة تتباع أصلا!! ... ماشي.

أخذتْ طرحة سودا وغطت بيها صندوقها، ثم فتحته وأخدت منه حاجة -هاتي إيدك يا قمر-، مديت إيدي لها وادتني صباع شوكولاتة، أنا بس شفته عنيا دمعت من الضحك حتى أني قعدت جمبها وحضتنها من حلاوتها: هو ده النسيان؟! صباع شوكولاتة! .. طيب هو بكام عشان أدفع؟.

ردت عليَّ :متدفعيش يا قمر، أنا قلت قبل مديلك حاجتك تدفعي، بس أنا هديلك الشوكولاته ببلاش، اعتبريها مرهم ليكِ يداوي جروحك، باين أنك غلبانة وقلبك طيب.

مستغربتش من كلامها ده؛ كان باين عليَّ أني مهمومة ومجروحة، بنت قدها ذكية تبيع شوكولاتة بالطريقة دي، مش ممكن متعرفش اللى قدامها محتاج إي.

قالت لي: طيب يا قمر، هاتي إيدك الثانية كده.

استغربت منها بالأول، وبعدين فتحت إيدي الثانية واديتها ليها، المرة دي مكانتش شوكولاتة كانت أستيكة، وقالت: "ده

نسيان، أمي كانت تقولي: -علشان تنسي لازم تتخطي، وعلشان تتخطي لازم تواجهي- فأنتِ واجهي واقعك وامحيه، كده أنت هتنسيه".

بصيت لها وابتسمت وقلت: طيب دي كمان ببلاش؟.

بصتلي وضحكت وقالت: لا دي بثلاثين جنيه.

ضحكتُ وقلتلها: يا مفترية ثلاثين بحالهم، دي حتة أستيكة، تلاقيها في المكتبات بعشرة جنيه.

ردت عليَّ وقالت: لا دي نسيان مش أستيكة، خدي بالك كل حاجة في طريقها...

ضحكتها كانت كفيلة أن تنسيني همي حتى لو شوية، اديتها فلوسها وودعتها، وروحت البيت ناوية أعمل اللي يريحني.

رجعت البيت، وقررت أن أسافر لخالتي؛ أغير جو، وأغير نفسي وروحي.

وأنا أجمع في حاجتي جمعت كل حاجة كانت تفكرني بيه ورميتها في الزبالة، والدفتر ده كان آخر حاجة هو والوردة، قررت بدل ما أكتب، وأفضل أمسح زي ما قالت (بائعة النسيان)، أن أكتب وأرمي ورايا، وأعيش حياتي زي ما أنا عاوزة، زي ما هو عايش حياته زي ما هو عايز، متمناش اللي حصلي

يحصل لغيري، بس لو صارحني من البداية مكانش ده حصل، أهو درس علمته لي الدنيا، فيها الخير.

دي كانت آخر كلماتي أنا نوسة... وقعتُ بإمضائي وتركتُ الدفتر في كرسي المحطة، وبدأت صفحة جديدة في الحياة).

انتهت ياسمين من قراءة سطور الدفتر، والرسالة التي تحمل في طياتها حبًا وفرحة وقهرًا وغدرًا من امرأة لم تذنب في حق رجل إلا أنها أحبته، غادرت القطار متجهة إلى البيت، ورمت الدفتر في سلة المهملات مبتسمة، لتذكرها بمقولة إحدى أفضل الكاتبات النسائية بالنسبة لها:

" أحبيه كما لم تحبه امرأة... وانسيه كما ينسى الرجال"

- أحلام مستغانمي.

# عن قوة (لا) أتحدث

# بقلم د. منى محمد الشريف

# تمهيد

أغلبنا يسيطر عليه شبح لعين، يترصد خروج كلمة -لا- من ثغرنا الحزين؛ فنُجبر مستسلمين على كتمها بداخلنا، وإن حاولت الخروج أعدناها من جديد، لأننا نخاف مواجهة هذا الشبح الذي زُرع بداخلنا وأرهق روحنا التائهة بين سيطرة الماضي ورغبة في الانطلاق من جديد، لكن ذلك لن يحدث أبدًا إلا إذا قررنا أن نواجه هذا المخيف الذي استوطننا، ونفك قيوده الوهمية لنخلي سبيل -لا- ونستنجد بها وقت احتياجنا لها.

وكل هذا لن يكون إلا إذا عمِلنا على توكيد ذاتنا وزدنا من رغبتنا في مواجهة ما يحزننا، فنصبح بذلك أكثر صلابة ومقدرة على احتضان -لا- ونحن كلنا ثقة وإيمان بمقدرتنا على تحريرها في الوقت الذي نريد فيه أن نواجه كل من يحاول التقليل من شخصنا أو التدخل في اختياراتنا أو إجبارنا على أن نعيش حياةً لا نريدها ولا نستسيغها، عن قوة لا أتحدث.

# (١)

# لا تخافي...قوليها

- " لست بمزاج جيد ولا يوجد وقت للجدال والدخول معك في حوارات لا تغني ولا تسمن من جوع".

هكذا ارتفع صوت الست علياء وهي تطرق باب غرفة ابنتها الوحيدة أمل محاولة إخراجها بسرعة، فالدقائق تتسارع ولم يبقَ الكثير على وصول طنط زهرة.

صدى صوتها امتزج بصوت طرقاتها السريعة، فكوَّنا سنفونية تجعل كل من يستمع إليها يدرك حتمًا أن حربًا ضروسًا توشك على الإندلاع.

-"أمل لا تتعبي قلبي وأعصابي، مدام هناء وابنها في انتظارنا.

أسرعي بارتداء ثيابك، أريدك اليوم أن تلفتي الأنظار وتكوني مميزة.

آ... تذكرتُ، لا تنسي ارتداء العقد الذهبي الأبيض الذي أهدتك إياه جدتك سعدية.

-ربنا يرحمها، كم تمنيت وجودها بيننا الآن، لو مازالت على قيد الحياة لساعدتني الآن في توجيهك أحسن توجيه، كم أنت عنيدة يا أمل!

أظنني لم أكن بقوة جدتك وصرامتها، أجدني أشعر أحيانًا بحنين عاصف لوجودها بجانبنا".

-لم أجده يا ماما!

-ماذا؟

- أخيرا فتحتِ الباب يا أمل؟!

-قصدت العقد!

-ماهذا؟!

"كم مرة أخبرتك فيها أن الألوان الكثيرة تجعل كل من يراك يعتقد أنك فتاة غجرية تخفت في ثياب مهرج.

ألوان الباستال تناسبك أكثر، وحاولي تنسيق لونين أو ثلاثة على الأكثر، طبعا لا أريد أي تعليقات من أيًا كان على لباسك، وإن كان من صديقة عمري زهرة.

ها.. قد وصلت زهرة، كلاكصون السيارة يكاد يثقب طبلة أُذني!.

علينا الإسراع وإلا سوف يقتلني سكان العمارة حتمًا".

نزلت الست علياء الدرج بخطوات متسارعة كشابة في العشرين -كيف لا- وهي تتمنى أن يمر الوقت سريعًا لتلتقي مدام هناء وابنها، فصديقتها المقربة اصطادت عريسًا غنيًا لابنة صديقتها الوحيدة، إن هذا الإنجاز قد لا يتكرر مرة أخرى.

دقائق معدودات وأصبح الجميع في السيارة برفقة طنط زهرة.

طوال الطريق وأمل تتمتم بجمل قصيرة مكررة:

-لا تخافي قوليها.

بعد مسافة ليست بالطويلة -حوالي نصف ساعة سيرًا بالسيارة- وصلوا إلى كافيه «الزعيم» المتواجد وسط المدينة.

كانت خطواتهن متناغمة كأنهن في عرض عسكري.

-مساء الخير هناء حبيبتي.

كيف حالك يا لؤي؟.

هكذا باغتت طنط زهرة الجميع بسؤال مستعجل.

ردت مدام هناء بنبرة فيها نوع من امتزاج لُكْنَةٍ غربية عربية،

فاختلطت الغين العربية بالإفرنجية وأنتجتَا حرفًا بلا هُوية.

- بخير ميغسي.

- سأعرفكم على بعض,

مدام علياء التي كلمتك عنها وابنتها أمل خريجة كلية الصيدلة.

- قاطعتها مدام هناء: تفضلوا بالجلوس.

ذلك التصرف ترك انطباعًا غريبًا بل مزعجًا في نفس أمل وأحيا فيها ذكريات قديمة.

ذكرها بطريقة تعامل جدتها سعدية مع الجميع وكيف كانت لا تحب أن تُناقَشْ وكيف فرضت رأيها على ابنتها وزوَّجتها دون موافقتها.

ولذلك عانت الست علياء لسنين من العيش مع رجل لا يتحمل المسؤولية بل الأكثر من ذلك؛ لا يمكن مناقشته أو التحاور معه.

كانت الجدة سعدية تعتبره فرصة لا تعوض

-كيف لا- وهو الذي يمتلك الكثير من المال,

فالزواج بالنسبة لها صفقة مالية لا غير.

للأسف عاشت الست علياء سجنًا حقيقيًا -بل أكثر من ذلك- كان زوجها يذكرها كل يوم بمستواها الأدنى منه اجتماعيًّا وكيف ندم ندمًا شديدًا على زواجه منها.

كل هذا كانت أمل تعيشه وتحسه، تسمع آهات والدتها حين تُداس كرامتها كل يوم، والجدة سعدية تؤيد أفعال صهرها إلى أن جاء ذلك اليوم الذي سافر فيه بلا رجعة تاركًا رسالة:

"لم أعد أتحمل العيش معك يا علياء، كنت جبانًا حين وافقتُ والدتي وقبلتُ الزواج منك -لا لشيء- غير أن والدتي تفضل زوجة ابن مطيعة لا تعصي لها أمرا.

الآن توفيتْ والدتي وورثتُ كل شيء، تحررتُ من السجن الذي قد وُضِعتُ فيه وأُجبرت عليه.

أستطيع الآن أن أقول لك: لا أريد الاستمرار في هذا، ورقة طلاقك ستصلك بعد أسبوع، وسأترك لك مبلغًا من المال يكفيك، و سأكتب لك شقة باسمك أيضًا,

أما طفلتنا فأعلم جيدًا أنك ستعتنين بها أفضل مني".

بعد قراءة هذه الكلمات تحولتْ الست علياء من شخصية تعاند الدنيا بابتسامتها إلى امرأة بلا روحٍ جامدة المشاعر لا تتقن سوى الأوامر وطلب تنفيذها بلا نقاش.

أما الجدة سعدية: فقد حزنت على الأموال التي طارت من بين يديها، فلم تتحمل كثيرًا وأصيبت بمرض القلب وتوفيت بعدها بشهرين تاركة الست علياء تعافر وحدها في الحياة مع طفلة لا يتعدى سنها الخمس سنوات.

وبينما أمل تسبح في ذكرياتها إذ بمنظر سَحَب تركيزها وعينيها دون إذْنٍ منها!

رجل أربعيني يدفع كرسيًا متحركًا، تجلس عليه امرأة وسعادة الدنيا تغمر وجهها.

وما زاد دهشتها سماعها له يناديها يا «زعيم».

هنا بفطنتها المعتادة وذكائها المعهود، أدركت أنه صاحب الكافيه والمرأة التي يدفع كرسيها هي زوجته.

كيف ذلك؟

ولكي تتأكد أكثر، فتحت محرك البحث على جوجل وأدخلت بعض المعلومات البسيطة عن الكافيه...

فإذ بها تتفاجأ بمعلومات تركتها في ذهول!

الزعيم هو ملك للسيد قاسم وزوجته حياة.

وقصة كفاح طويلة للزوجين حتى استطاعا معا تطوير المحل وأصبح الأفضل في المدينة.

والغريب أن الجميع يُشيد بقاسم، وكيف استمر بالعيش مع زوجته المعاقة رافضًا التخلي عنها بعد تعرضها لحادث سير منذ سنوات.

وجدت أمل فيديو لهما حيث كانت حياة ترد على سؤال مهم:

هل قاسم يحبك فعلا؟!

- أكيد، لأنه رفض الزواج ثانية بعد تعرضي للحادث ولم يُشعرني يومًا بإعاقتي، وتركني أستمر في إدارة المحل معه رغم إصابتي إثر حادث المرور، بل أنه يكتفِ بذلك وكتبه باسمي وكل ما يَمتلك.

سُئلت حياة من جديد:

- في رأيك لماذا فعل ذلك؟!

أجابت بابتسامة جميلة تزين وجهها القمحي:

- لأنه ابن أصول، وابن الأصول لا يخون.

هذه الجملة صدمت أمل وجعلتها تعيد كل حساباتها في لحظات,

أدركت أن ابن الأصول ليس من يمتلك المال، بل لم يكن المال يومًا دليل أمان في الزواج,

وإنما هي الأخلاق والتربية.

وبينما هي تواصل حديثها الداخلي إذ بمدام هناء تقطع حبل أفكارها بجملة مستفزة:

- مادموزيل أمل، أظن أن عقدك لا يناسب ما تلبسين!

والغريب أن لؤي أيد ما قالت دون أدنى اعتراض، بل تلفظ بجملة أخرى أشد استفزازًا:

- لا عليك يا ماما، أكيد بعد الزواج ستختارين ملابسها بعناية كما تفعلين معي دائمًا,

فذوقك لا يعلى عليه.

هذه الجملة الأخيرة كانت بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس:

- آسفة يا طنط، ليس لدي أي رغبة في الارتباط الآن!

انصرفت أمل غير مبالية بنظرات الاستغراب والغضب وما كان وما سيكون.

انطلقت وهي سعيدة، وتردد بداخلها -أخيرا قلتها!-

أخيرا استطعت قول –لا-، أشعر بسعادة الدنيا ولا يهمني العقاب الذي سأتلقاه من ماما، يكفيني أنني تحررت من سجن الاستسلام الذي يَدخله أشخاص لا يتقنون الرفض ولا مواجهة ما يؤلمهم، أخيرًا كسرتُ باب الزنزانة وأحسستُ بقيمة «لا» في حياتي,

فلا، أعادت جزءًا كان مفقودًا بداخلي ورممتْ جروحي,

أظنني أخيرًا استطعت النهوض من جديد!.

واختفت أمل بعيدًا تاركة الجميع في ذهول شديد.

# (٢)

# قلب كِفاية

صباح ربيعي جميل ونسمات هواء لطيفة تداعب شجرة الليمون ذات الرائحة العطرة والأوراق الخضراء البيضاوية، أحد أغصانها اصطدم بزجاج غرفة نوم "كفاية" محدثًا طرقًا خفيفًا...

طق.. طق.. طق

استيقظت كفاية على صوت طرقات النافذة، ونزلت سريعًا لتناول وجبة الإفطار في حديقة المنزل في المكان المعهود تحت شجرة الليمون، التي غرستها جدتها يوم ولادتها، فأصبحت هذه الشجرة رفيقتها المقربة إليها والأنيس الوحيد لها في لحظات سعادتها أو أحزانها.

عندما تضيق بها الدنيا تجلس تحت شجرتها المعهودة وتحدثها كمن يحدث صديقًا وفيًا يكتم أسراره، ومجالسته تجعل النفس الكئيبة تطمئن وتتخلص من أثقال كثيرة قد أرهقتها وعكرت صفو حياتها.

كيف لا!.. وهي منذ سنوات تحكي لها جميع ما يحدث وكل أسرارها التي تخبئها عن الجميع...

- اليوم يا كِنزي -الاسم الذي تنادي به كفاية شجرتها- سيحضر عليٌّ للتحدث إلى والدي، أتمنى من الله أن يمر الأمر على خير، فأنا لم أعد أحتمل بعد كل ما حدث، دائمًا أوامر جدتي لا تناقش والجميع ينفِّذ، لعدة سنوات وأنا أعاني من هذا الاسم اللعين، الجميع يستهزىء بي عند سماعه.

ليس لي ذنب إن كنت البنت السابعة، جميع أخواتي اختاروا لهن أسماء جميلة إلا أنا، لأن جدتي أصرت على تسميتي كفاية، كأنها تعاند القدر وحكم الله عز وجل، وتقول: كفاية بنات لا نريد أكثر، هذا الاسم سبَّب لي العديد من المشاكل والأحزان، إنه السبب في شخصيتي الانطوائية، فقد اضطرني إلى الابتعاد عن الجميع خوفًا من سماع ضحكاتهم اللعينة وسخرياتهم المَقيتة عندما أكون موجودة معهم.

حسنًا يا كنزي، سأتركك الآن، عليَّ الذهاب إلى الكوافيرة، فموعد وصول عليّ الساعة الثانية، والمعيب أن يحضر ولا يجدني.

بدأت الست سعاد -والدة كفاية- بتنظيف غرفة الاستقبال، وبالخطأ أوقعت صورة ابنتها المتوفاة -حنان-، عندما حاولت التقاط الإطار المهشم وجدت ورقة مطوية مخبّأة في ظهره,

كانت رسالة من ابنتها المتوفاة حنان!

قالت فيها:

- أشعر بحزن كبير يا أمي لأنني لم أكن قوية بما فيه الكفاية لقولِ –لا-,

أتمنى من الله أن أقولها يومًا وأتخلص من هذا الشعور المخزي الذي يصاحبني دومًا.

شعور الحسرة يمزق روحي إلى أشلاء ويجعلني أشعر بمرارة لا تطاق، واختناق يربكني ويبعثر هدوئي.

يجعل قلبي يعتصر وأعصابي تنهار.

أحس أنني جسد بلا روح، إنسانة بلا هدف لا تملك تسيير حياتها.

خوف يلاحقني، وضعف يجعلني لا أقوى على المواجهة أيًا كانت!

كم كنت أحلم أن أواجه جدتي وأصرخ بكل قوتي –لا-!

لكنكما -أنتِ وأبي- زرعتما فِيَّ وفي إخوتي رهبة شديدة أفقدتنا العيش بسلام.

لم نسمعكما يومًا تعترضان على أوامر جدتي..

كل ما تقوله الجدة يقابل بنعم!

حتى أنني كدت أنسى أن كلمة "لا" موجودة في قاموس كلماتي!

حاولت وحاولت، ولكنني لم أستطع قول –لا-.

ليس لدي القوة كي أقولها.

كما أن هذه الرسالة التي كتبتها لك يا أمي سأبقيها مخبأة؛ لأني لا أقوى على إعطائكِ إياها.

كلمات حنان جعلت الست سعاد تدخل في نوبة بكاء هستيرية لم يوقظها منها إلا جرس الباب.

كانت كفاية هي من عادت إلى المنزل، فدخلت سريعًا لتصعد إلى غرفتها لتغير ملابسها قبل مجيء علي.

بدأت نبضات قلبها تتسارع خوفًا من أن تتدخل الجدة كالعادة في أمور حياتهم. فقد اختارت أزواج البنات الست، ولم يستطع أي أحد منهم أن يعارضها.

حضر علي في الموعد بالضبط.

علي هو زميل كفاية المقرب، وصديق الطفولة الذي درس معها من السنة الأولى إلى الجامعة، كان دائمًا موجودًا لحمايتها من تنمّر البعض على اسمها، وكذلك لمساندتها في جميع لحظات حزنها وضعفها في مواجهة الحياة.

- عمو سعيد أنا أريد أن أتقدم لطلب يد كريمتكم كفاية.

اضطرب العم سعيد قليلًا، ثم نهض وذهب إلى غرفة كفاية.

- لماذا لم تخبريني بذلك، ليكون رفضي بطريقة لبقة، الآن سوف تعرضين زميلك لموقف حرج.

- أبي "علي" على خلق ومن عائلة محترمة أيضا، فهو فضل الحديث إليك قبل إحضار والديه.

- لا تنسي يا كفاية، أن أمي رحمها الله قد أوصت بأن تتزوجي ابن عمك بمجرد تخرجك من الجامعة وتسافري إليه للعيش في فرنسا.

قاطعته كفاية ونبرة الحزن تعتصرها.

أبي أنا أحترمك وأحبك كثيرًا لكنني أريد أن أخبرك أمرًا طالما أخفيته عنكم، أتعلم أن إصابتي بالغدة الدرقية كان سببه حزني الشديد وألمي وبكائي الطويل على حالي؟!

لما كنت طفلة كنت مضطرة لشرح معنى اسمي للجميع، ومحاولاتي العديدة كي أجد شخصًا واحدًا يقتنع بمعناه لكن للأسف!، الجميع كان يسخر مني وينفجر ضاحكًا في وجهي!. الوحيد الذي لم يسخر من اسمي هو علي، وقف بجانبي وواساني، وجعلني أستمر في مواجهة الجميع بصلابة.

لم أُرد إخباركما -أنت وأمي- بذلك، وخصوصًا بعد شعوركما بالذنب لوفاة أختي حنان حزنًا، بعد تزويجها غصبًا من ابن عمتي ورفضك تزويجها زميلها في العمل، والسبب طبعًا – جدتي-، مع عدم مقدرتك أنت وأمي على مواجهتها.

أبي، هل تريد أن تعيد قصة أختي لأكون ضحية أخرى؟، تأكد أن قلبي سينكسر إن رفضت عليًّا.

هل تريد لقلب -كفاية- أن ينفطر حزنًا، كما حدث لأختي الكبرى؟

هنا تذكرت الست سعاد وفاة ابنتها الكبرى، والألم الذي خلفه فقدانها فانفجرت قائلة:

- لا أريد يا سعيد أن أبقى صامتة بعد الآن، لسنوات ونحن نقول نعم وننفذ أوامر والدتك رحمها الله.

أتعلم يا سعيد أن قلبي كان ينزف دمًا وأنا أرى كفاية طفلة حزينة منطوية على نفسها، تخاف الخروج للشارع، حتى في الأعياد تبقى ابنتنا مختبئة في غرفتها، فقط رفقة علي هي من كانت تواسيها وتخفف عنها ذلك.

كنت أشعر بحزن عميق وأنا اسمع كفاية تحدث الشجرة، تروي لها تنمر الناس على اسمها وشعورها برغبة في اعتزالهم حتى لا تتأذى أكثر.

كانت الشجرة هي صديقتها الوحيدة، وكذلك علي,

لم تكن ابنتنا لديها صديقات، حتى عيد ميلادها لا يحضره أحد.

كم كان ذلك محزنًا وتعيسًا!

منذ ثلاثين سنة مرت، لم تسمع مني كلمة –لا-,

لكنني اليوم سأقولها لك.

لن أسمح لابنتنا أن تتأذى أكثر.

فقدْتُ ابنة في الماضي، ولن أُعيد الكرة هذه المرة.

انفجر العم سعيد باكيًا، واحتضن كفاية قائلا:

- لا طبعا يا حبيبتي.

قلب كفاية سيفرح ويسعد من الآن، مبروك يا حبيبة القلب والروح.

# (٣)

# حبّكِ الأبقَى

إنها الساعة الواحدة ظهرًا، لم يتبقَّ على موعد وصول القطار القادم من العاصمة والمتجه إلى الجنوب، سوى نصف ساعة.

تجلس "مهى" ووالدتها –فضيلة- بهدوء في محطة قطار قَسَنْطينَة.

ملامح القلق والتوتر جعلتها تبدو وكأنها جاوزت الثلاثين من عمرها، مع أنها لم تبلغ الخامسة والعشرين بعد.

التفتت مهى إلى والدتها قائلة:

- "أمي الحبيبة لا تخافي، جامعات الجنوب تدفع مرتبات ضعف مرتبات الشمال، وبمجرد أن أنْهِيَ رسالة الدكتوراه سأعود للتدريس هنا، كما تعلمين فمرتب أستاذ مساعد لا يكفينا، منذ أن توفي أبي العزيز، وأنا أعيش على أمل أن أحقق حلمه، بأن أصبح دكتورة في تخصص علم الأحياء، وأجتهد لأكون بروفيسور مثله، وأكمل سلسلة أبحاثه".

وهي مسترسلة في حديثها، فتحت شنطة السفر للتأكد من أغراضها، فاصطدم بصرها بغلاف شهادة الماجستير، فأخذتها الذكريات إلى يوم تخرجها، وسعادتها الكبيرة بحصولها على تقدير ممتاز الذي رشحها للتدريس في الجامعة.

وأيضًا، وعد زميلها حسام بأن يتقدم لها رسميًا يوم التخرج. لكن الغريب والمحزن أنه طوال الحفل، ظل ملازمًا لصديقتها المقربة سحر، ابنة البروفيسور علي صديق والدها، الذي انتقل –من وقت قريب- للتدريس في إحدى جامعات كندا.

بعدها اختفى حسام مدة شهر كامل، ليتفاجأ الجميع بخبر سفره إلى كندا برفقة الصديقة المقربة سحر، لإكمال دراستهما هناك، حيث يُدَرِّس البروفيسور علي.

نزل الخبر كالصاعقة على مهى؛ لأنها أدركت يقينًا أن حب حسام لها لم يكن سوى كذبة كبرى، ولَعِبَ الدور نفسه - المُتَيَّم الولهان- بإتقان على سحر؛ لكي يستغلها ووالدها للوصول سريعًا إلى أهدافه.

أصيبت مهى بصدمة نفسية، جعلتها تعتزل الجميع، وتقرر الهروب إلى الجنوب، خوفًا من نظرات الشفقة من الجميع.

فجأة تعالى صراخ المنتظرين في المحطة، قطة صغيرة سقطت في ممر القطار، وأمها تحاول إخراجها لكن دون جدوى.

كلمح البصر سارعت الست فضيلة، لإنقاذ القطتين في مشهد بطولي فرح به الجميع.

هنا تذكرت مهى اليوم الذي كادت فيه أن تفقد حياتها، وكيف أنقذتها والدتها من عجلات السيارة، معرضة حياتها للخطر، وكُسرت ساقها أثناء ذلك.

تجمدت في مكانها وهي تحدث نفسها قائلة:

"كيف لي أن أكون جبانة وضعيفة إلى هذا الحد؟!

كيف لي أن أترك نفسي لأحزان لم أكن سببًا فيها؟!

انتبهي يا مهى!.

لا تتركي تجربة سخيفة تدمر حياتك، و تنسيكِ واجبك تجاه والدتك التي أحبتك كثيرًا ولم تكن تنتظر منكِ مقابلًا، بل حتى وهي حزينة على فراقك فضَّلَتْ أن تتركك لتسافري دونما أي اعتراض!.

اصحي من غفلتك يا مهى.

لا تزال الحياة أمامك فاتحة ذراعيها، والأجمل قادم بإذن الله.

هي تجربة جاءت لتجعلك تعيدين ترتيب الأشخاص في حياتك، هناك أشخاص إن سقطوا منّا يمكننا استبدالهم بآخرين أمّا البعض فمستحيل".

سماع صوت القطار وهو يقترب مسرعًا دفعها لاحتضان والدتها بقوة، مقبِّلة رأسها، هامسة في أذنها، والدموع تسيل من عينيها كينبوع انفجر فجأة، ليبعث الحياة من جديد في أرض جف ترابها وفقدت الكثير من نباتها، الذي كان يزينها وينشر السعادة في أرجائها.

- لن أسافر أمي.. لن أسافر، فحبُّكِ الأبقى!.

# (٤)

# سأحيا من جديد

جميع من في الدار، يحدق بالشاشة المعلقة على جدار القاعة الكبيرة في دار المسنين "رحمة"، دار فتحت أبوابها منذ عشرات السنين لاستقبال كبارالسن، وأيضًا لمن فقدوا أهلهم أو تخلوا عنهم.

كان الجميع: المديرةُ، الإداريون، العاملون، والمقيمون بالدار، ينتظرون بلهفة نشرة أخبار الثامنة لمشاهدة الروبورتاج الذي غطى حفل زفاف الحاج عادل والحاجة نادية منذ يومين في دار المسنين، الوحيدة التي لم تكن هناك هي الست رقية، كانت مختلية بنفسها تنتظر مكالمة من ابنتها الوحيدة "رِهام"، المقيمة في كندا، فمنذ يومين أحست الست رقية بحنين جارف وشوق قاتل ورغبة في احتضان ابنتها، فاتصلت بها لكنها لم ترد كالعادة، فأرسلت إليها رسالة قصيرة:

"أعلم يا حبيبتي أن فارق التوقيت كبير، أظنك نائمة الآن، بمجرد قراءتك لرسالتي اتصلي بي، قد اشتقت إليك كثيرًا يا نور

قلبي، الدقائق تمر عليَّ هنا كأنها ساعات طوال، حتى صديقتي في الدار -الحاجة نادية- تزوجت اليوم من الحاج عادل المقيم هنا أيضًا، وغدًا سيغادران الدار لأن ابن الحاج عادل عاد من الخارج طالبًا السماح منه، وأصر على أن ينتقلا للعيش

معه... أتمنى أن تعودي لأراكِ ولو للحظات".

كانت الست رقية تحدق بالهاتف طويلًا، راجية من المولى أن يحقق أمنيتها في أن تسمع صوت ابنتها، الذي افتقدته لزمن طويل، لم تكن رِهام تتصل بها إلا في الأعياد، وكل مرة تتحجج بآلاف الأسباب، والست رقية تبتلع دموعها وآلامها عند سماعها وهي تتهرب من السؤال عنها، وتحاول إقناعها أن ظروفها القاسية في الخارج هي التي جعلتها لا تستطيع الاتصال.

تلك الحجج الواهية دفعت الست رقية إلى أن تجتذب أملًا جديدًا صنعته مخيلتها، من قصص تروى لأبناء عادوا تائبين بعد هجرهم لآبائهم لسنين...

لحظات الشرود تلك والسفر بمخيلتها بعيدًا، قطعته طرقات الباب الثلاث.

-من؟

ست رقية أنت بخير؟! الحاجة نادية تبحث عنك، تريدك كي تشاهدا الروبورتاج معًا.

صوت مدام ليلى -المسؤولة عن قسم السيدات المسنات- كان دائمًا يبعث نوعًا من الطمأنينة والشعور بالهدوء اللحظي في نفس الست رقية، فمدام ليلى كانت بمثابة نسمة باردة في يوم صيفي حار يتمناها كل عطشان.

- ألم فراق الأحبة ليس بالأمر السهل يا ابنتي.

هكذا وجهت الست رقية كلامها لمدام ليلى، وكالعادة بدأت بسرد نفس القصة التي لا تزال تكررها منذ عشرسنوات.

- كنت أدللها كثيرًا، وأخاف عليها من كل شيء، وعندما أصيب زوجي الحبيب صابر -رحمه الله- بالسرطان كنت أفكر فيها أكثر منه ومني، أنا من اقترح على صابر أن يكتب كل أملاكه باسمها لكي لا يرث أحد من أقاربه شيئًا بعد وفاته، وفي الأخير تفضل أن تسافر برفقة زوجها ولم يكفها ذلك، بل باعت كل شيء قبل رحيلها ووضعتني هنا!.

الذي يؤلمني حقا يا مدام ليلى، أنها لم تكلف نفسها حتى عناء الرد على مكالماتي!.

- ربما لديها ظروف يا ست رقية.

ردت الست رقية بضحكة ممزوجة ببحة آلام سنين فراق طويل ووحشة كئيبة وحنين جارف:

- كنت أظن ذلك حتى عثرت على بروفايل الفيس بوك الخاص بها وصور أسرتها الصغيرة هي وزوجها وطفلتها سحر، التي كانت تنشرها كل يوم تقريبًا.

أظن أنه عقاب الله لي؛ أردت أن أحتال على شرع الله وأجبرت زوجي على كتابة كل شيء باسمها، فحدث معي كل هذا.

- لا يا حبيبة، لا تحاسبي نفسك كثيرًا، ما حدث حدث وعلينا أن نفكر في الحاضر والمستقبل، وننسى ما فات بكل أحزانه وآلامه.

هزت الست رقية رأسها قليلًا، كأنها تحاول أن تقول -عن أي مستقبل تتحدثين وأنا بلغت السبعين-، ثم نهضت واتكأت على كتف مدام ليلى، وتوجها إلى القاعة الكبيرة، هناك استقبلهما الحاج وديع -المسؤول عن قسم الرجال من كبار السن- بابتسامة عريضة، ولاحظ شحوب وجه الست رقية، وآثار دموع انفجرت من عينيها كحمم بركان خامد عاد للنشاط

من بعد سنين، حمم التهمت كل ما وجدته في طريقها، فأصبح مكان عبورها كئيبًا موحشًا بلا حياة.

- دعوة اليوم كانت من نصيبك يا ست رقية.

-"أظن الحظ سيفتح لك ذراعيه من جديد حبيبتي رقية؛ فكل من دعا لهم الحاج وديع في سجوده أزهرت لهم الدنيا من جديد، انظري كيف استجاب الله لدعواته: فقد تزوجت الحاجة نادية من الحاج عادل، وعاد ابنه بلال بعد سنوات طالبًا السماح منه، وأصر على نقلهما للعيش معه في منزله الجديد، بعد أن أدرك أخيرًا أن حب الوالدين لا يعوضه حب زوجة ولا أبناء، هو أيضًا تركته زوجته الأجنبية، وهربت بطفلين إلى مكان بعيد بعد أن أشهر إفلاسه هناك، ولم يبقَ له سوى أن يعود إلى وطنه الأم، وبيت الطفولة الذي كبر فيه".

هكذا خاطبت مدام ليلى ست رقية، وهي تحتضنها في زاوية قريبة من الشاشة الكبيرة المعلقة على الحائط.

عمَّ الهدوء التام القاعة، بدأت نشرة أخبار الثامنة، أول روبورتاج كان عن الطفولة المسعفة، احتواء مدام ليلى للست سعاد بذراعيها وحضنها الدافئ جعلها تنتقل إلى عالم أحلام جميل كله ألوان زاهية ووجوه بشوشة تناديها من دار الطفولة المسعفة:

"ماما رقية.. ماما رقية.. بلغنا الثامنة عشر، وليس لدينا مكان نذهب إليه.

الدولة لن تتكفل بمصاريفنا بعد الآن، علينا أن نعثر على عمل ومأوى، وإلا سيكون الشارع مصيرنا المحتوم".

نقلتها أحلامها بسرعة إلى منزلها الريفي المهجور، الذي ورثته عن والدها، وأيضًا الأرض الواسعة المحيطة به، رأت كل شيء بوضوح، وصوت خفي يناديها: "لديك فرصة جديدة لتعيشي من جديد".

صوت فاصل النشرة أيقظها من غفوتها القصيرة، ولون زهري احتضن وجهها، و بريق ماسي انتشر من عينيها وابتسامة عريضة أشرقت من ثغرها.

- أسرعي يا مدام ليلى، إنها الثامنة، وقد بدأت الأخبار.

أنا متحمس جدًا لمشاهدة إنجاز الست رقية.

- دعوتك الجميلة لها يا حاج وديع منذ مدة، سبحان الله! سنة واحدة فقط استطاعت خلالها الست رقية: أن تعيد ترميم منزلها الريفي لاستقبال شباب وشابات دار الطفولة المسعفة، وتحصل أيضًا على تصريح من الدولة، يسمح لها باستقبالهم هناك، وموافقة من الوزراة على عمل شباب

دارالطفولة المسعفة بعد بلوغهم سن الخروج من الدار، في تربية الأغنام والنحل للشباب، أما الشابات فكانت مهمتهن تسويق الإنتاج أون لاين.

سماع سؤال الصحفية للست رقية عن كلمة أخيرة تريد أن تقولها للجمهور، أجبر مدام ليلى على التوقف عن الحديث، والإنصات والتركيز على شاشة التلفاز.

أجابت الست رقية بابتسامة، ونبرات هادئة ومتزنة:

- الحياة تستمر دائمًا، لكننا نحن من نمتلك قرار أن نعيشها بحب أو كره، بأحزان الماضي أو بأمل أن نحيا من جديد بقلب سعيد، وأن ندفن الماضي بكل ما فيه من اشتياق وحنين لأشخاص لم نعد نعني لهم شيئًا.

جميع من في الدار كان سعيدًا جداً، بعد سماع كلمات الست رقية التي خلقت أملًا مزهرًا، وسعادة مضيئة في قلوب كانت إلى وقت قريب، ترغب في الرحيل سريعًا عن هذه الدنيا، كلماتها كانت كأمطار غزيرة جاءت بعد سنوات جفاف، سقت أرواحًا فقدت الرغبة في الاستمرار، لكنها الآن بدأت تحيا من جديد.

# المحتويات

**الإهداء ..... ٥**

**المقدمة ..... ٧**

**عن شعور الفقد سأتحدث... شيماء سيد..... ٩**

تمهيد ..... ١١

(١) فماذا يحوي القلب؟ ..... ١٣

(٢) الكنز المفقود ..... ١٩

(٣) حاضرون ..... ٢٧

(٤) عذرًا ..... ٣٣

**عن شعور الغدر سأتحدث... إيمان قواسمية ..... ٣٩**

تمهيد ..... ٤١

(١) وتعود الأيام ..... ٤٣

(٢) قهوة في الانتظار ..... ٥٥

(٣) سيوالا ..... ٦٧

(٤) بائعة النسيان ..... ٧٩

**عن قوة (لا) بقلم د. منى محمد الشريف.....٨٩**
تمهيد .....٩١
(١) لا تخافي...قوليها .....٩٣
(٢) قلب كِفاية .....١٠٣
(٣) حبّكِ الأبقَى .....١١١
(٤) سأحيا من جديد .....١١٥